الأخبار
al-akhbar

السبت 25 تموز 2026
العدد 5834 السنة العشرون
Samedi 25 Juillet 2026 no 5834 20ème année

www.al-akhbar.com

24 صفحة
100000 ليرة

كلمات
زياد الرحباني
قلو إني ببوّس عينيه

السعودية تطارد الحريري: يزيد يريد عقوبات أميركية
قلق أوروبي من عدوان إسرائيلي جديد
2

بوادرُ تدويل
أميركا تمهّد لتوسيع الحرب
8 - 10

(أ ف ب)

أحوال الناس

كفررمان تعود بإمكاناتها... والدولة غائبة
4

المؤسسات الجنوبية خارج جداول التعويضات
5

موسم الأعراس: خسائر بمئات ملايين الدولارات
6

المشهد السياسي

قلق أوروبي حول لبنان: استفراد أميركي وتعنت إسرائيلي وتهديد سوري

«بروفة زوطر»: السلطة تريد الجيش أداة لخدمة الاحتلال

دخول اهالي زوطر الغربية (قضاء النبطية) الى بلدتهم امس (علي حشيشو)

برغم تركيز الرئيسين جوزيف عون ونواف سلام على «حصرية» مسار واشنطن لمعالجة ملف الاحتلال، فإن جميع الأوساط المحلية والإقليمية عادت لتراقب نتائج التصعيد القائم على الجبهة الأميركية – الإيرانية وانعكاس ذلك على جبهة لبنان، خصوصاً مع امتناع العدو عن الانسحاب من أي منطقة محتلة بعد، وإصراره على فرض شروط أمنية على الجيش اللبناني. وسط انطباع بأن الأمور قد تشهد تعقيداً إضافياً قبل اجتماع روما في الرابع من الشهر المقبل، إذ لم تنجح الولايات المتحدة في إقناع إسرائيل بالانسحاب من مناطق محتلة ووقف عمليات التدمير.

وأمس تركّزت الأنظار على متابعة ما يحصل في «المناطق التجريبية»، وبعدما دخل الرئيس نواف سلام الأربعاء الماضي إلى زوطر الغربية لعشر دقائق، كأن الأهالي ينتظرون الإذن من الجيش للدخول وتفقّد بيوتهم وممتلكاتهم. لكنّ سلام حصل على مُراده، لجهة الصورة، ورفع العلم اللبناني لتثبيت سرديته. لكنّ الأمر لم يحتج إلى أكثر من 24 ساعة لتبيان كذبة «المناطق التجريبية». وأمس، تبيّن أنّ الهدف من اتفاق الإطار هو وضع الجيش مقابل الناس.

ومنذ الصباح تجمّع أهالي زوطر على مدخلها بانتظار «الإذن بالدخول»، بعدما باتوا هناك ليومين كاملين، وقد افترشت العائلات الطرقات، وحضر في المحصّلة، مُنع الأهالي من الدخول بحرية لتفقّد بيوتهم وممتلكاتهم. وبعد انتظار دام أكثر من 6 ساعات وبسبب تعاظم الضغط، سُمح لأعداد قليلة من أهل القرية بالدخول إليها وضمن شروط محدّدة مثل تحديد عدد الموجودين في القرية بخمسة أشخاص زمني يُمنع تخطّيه.

فقط في كلّ دفعة، وعدم التوجّه إلى الأحياء المواجهة لقرية زوطر الشرقية التي يحتلها العدو، وتفتيش سيارات الأهالي والتدقيق في هوياتهم. وقد يكون ما حصل هو «بروفة» لما تريده السلطة من تحويل الجيش إلى قوّة تنفيذية لجيش الاحتلال، فتتحوّل مهمّته إلى البحث عن السلاح المقاوم، ومنع عودة الناس، والحدّ من أعداد الجنوبيين في قراهم.

قلق اوروبي من تجدّد الحرب

في هذه الأثناء، يبدو أن «اتفاق الإطار» معطوفاً على التوتر في المنطقة، قد عزّزا المخاوف الأوروبية تجاه الوضع اللبناني. حيث تبرز خشية من خسارة حضور لطالما عملت جاهدةً للحفاظ عليه على الضفة الشرقية للبحر المتوسط، خصوصاً مع النزعة الأميركية للهيمنة الشاملة على المنطقة، وتحرّر إسرائيل شيئاً فشيئاً من التبعية الغربية وتوازنات النفوذ التي أنتجتها المرحلة الماضية.

ومع ذلك، فقد بعثت أوروبا برسالة دعم إلى عون، من خلال اللقاء الذي جمع رئيس الجمهورية مع سفراء وممثلي دول الاتحاد الأوروبي، برئاسة سفيرة الاتحاد ساندرا دي وال. لكنّ الجانب الأوروبي حرص أيضاً على التعبير عن رغبة قوية بإثبات الحضور ومواكبة التحوّلات. ومع أن اتفاق الإطار يتناسب مع الرغبة الأوروبية الدائمة بعقد مفاوضات مباشرة ونزع سلاح حزب الله وعزل إيران عن لبنان، إلّا أن القلق بدأ مع إخراج فرنسا من المعادلة الحالية بعد تهميشها في لجنة الميكانيزم، وإنهاء أميركا لملفّ «اليونيفل»، واعتراض إسرائيل القاطع على وجود أي قوّة عسكرية أوروبية تقوم مقام «اليونيفل» في الجنوب. ويشعر الأوروبيون بأن دورهم يقتصر على تقديم مساعدات مالية وتقنية، بينما تستحوذ الولايات المتحدة على الملفات السياسية والأمنية. أمّا في الملفات المؤثّرة، فيوضع الأوروبيون أمام تنافس خفي مع النفوذ الأميركي ومحاولات الإقصاء الأميركية والإسرائيلية. الى جانب الخشية من دور اضافي لتركيا بعدما ظهر الامر في قمة «الناتو» الأخيرة في تركيا، ما يضع أوروبا أمام التنافس مع النفوذ التركي المتصاعد في سوريا

> **هل فرض العدو على الجيش جدولاً زمنياً لدخول الأهالي وعمليات التفتيش والتضييق؟**

ولبنان ودول أخرى في الإقليم.

وتبرز الخشية الأوروبية عموماً من الوضع اللبناني، من تعنّت إسرائيل برفض الانسحاب من الأراضي اللبنانية، وتمسك حزب الله بسلاحه، إضافة إلى عدم الثقة بالإدارة الأميركية الحالية، وقدرتها على ممارسة ضغوط حقيقية على إسرائيل لتنفيذ الانسحاب من لبنان، والاعتقاد بأن تطبيق اتفاق الإطار ستنتهي عرقلته من جانب إسرائيل والتذرّع بعدم قيام الحكومة اللبنانية بنزع كامل سلاح الحزب، والاستمرار على هذا الموقف حتى ما بعد الانتخابات الإسرائيلية المقبلة.

وتعتقد مصادر دبلوماسية أوروبية في بيروت، بأن «بقاء إسرائيل في لبنان يعطي الحزب ذريعة للاحتفاظ بالسلاح وفرصة للعودة إلى القتال في حال اندلاع جولة جديدة من القتال بين الولايات المتحدة وإيران، بما يعيد ربط الملف اللبناني بالملف الإيراني». وتضيف إلى ذلك «المخاوف الأوروبية من شعور حزب الله بالضغط الكبير بين الاحتلال الإسرائيلي في الجنوب، والضغوط الحكومية لتسليم السلاح، مع ما يعني ذلك من صدام عسكري بين الحزب والجيش اللبناني».

أبرز ما يقرأه الأوروبيون من هذه السيناريوات، هو تجدّد الحرب وتدهور الوضع الأمني في الداخل، ما يعني تصاعد نسبة الهجرة من لبنان، خصوصاً أن أوروبا نالت نسبة ليست قليلة من عدد المهاجرين اللبنانيين في السنوات الأخيرة. وتبدي المصادر مخاوف أوروبا إزاء الحماسة الزائدة التي يبديها ترامب لإدخال قوات عسكرية تابعة للرئيس السوري أحمد الشرع إلى لبنان بهدف الضغط على حزب الله. وهذا ما يفسّر النصائح القوية التي وجّهها الفرنسيون والألمان إلى الشرع بإهمال دعوات ترامب.

(الأخبار)

تقرير

يزيد بن فرحان يريد وضع الحريري على لائحة العقوبات الأميركية

لم يكن خروج رئيس تيار «المستقبل» سعد الحريري من الحياة السياسية نهاية للصراع بينه وبين المملكة العربية السعودية في عهد محمد بن سلمان، ولا يزال ملف الحريري يحتل البند الأول في اهتمامات الرياض ومو فدها إلى لبنان يزيد بن فرحان. لكن يبدو أن السعوديين، قرروا الانتقال إلى مستوى جديد، من باب الملفات المالية والقانونية واحتمالات استخدام أدوات ضغط جديدة لإبقاء الرجل خارج المعادلة.

وعلمت «الأخبار» عن وجود مساعٍ سعودية في واشنطن للدفع باتجاه إدراج اسم الحريري على لوائح العقوبات الأميركية، تحت بند «Magnitsky Sanctions» الذي يستخدم بعد اتهام المعاقبين بقضايا فساد، ما يطرح أسئلة كثيرة حول توقيت الخطوة وما إذا كانت مرحلة الإبعاد السياسي قد تحولت إلى مرحلة جديدة من الضغوط. وقد انطلق التحرك الجديد عبر إعادة فتح ملفات مالية سابقة، من بينها الدعوى التي رفعها حاكم مصرف لبنان كريم سعيد ضد بنك البحر المتوسط. وهو ملف تم تحريكه بناء على طلب مباشر من بن فرحان إلى الحاكم.

لكن الجميع، يعلم أن جوهر القضية يتعلق بمشكلة كبيرة قائمة بين السعودية والحريري منذ خطفه في تشرين الثاني من العام 2017، وما تبعها من إجراءات أدت إلى إعلان الحريري عزوفه عن القيام بأي دور سياسي وابتعاده عن لبنان. لكن الأمر عاد إلى الظهور بعدما فشلت السعودية في توفير قوى أو شخصيات قادرة على «وراثة» الحريري في الشارع السنّي. وقد تفاقم الأمر في العام الأخير، بعدما أعلن الحريري نية تياره المشاركة في الانتخابات النيابية المقبلة. وقد شكل الحديث عن احتمال عودة الحريري إلى بيروت وإلى العمل السياسي مركز اهتمام كبير، وقد أطلق السعوديون برنامج «تعقب» لكل ما يقوم به تيار «المستقبل» خصوصاً من استعدادات للانتخابات النيابية، ومتابعة فريق عمله في مختلف المناطق اللبنانية.

يشار إلى أن عودة الحريري المحتملة، تقع في ظل تبيان المقاربات الخليجية للملف لبنان، وحيث الاشتباك يتوسع بين السعودية والإمارات حول طبيعة المرحلة المقبلة. وفي هذا السياق، يرى بعض المتابعين أن عودة الحريري قد تتحول إلى جزء من صراع أوسع حول من يمتلك القدرة على إعادة تشكيل المشهد اللبناني.

(الأخبار)

«مبادرة قطرية» لم تبصر النور: كيف تمّ الاستحواذ الأميركي - السعودي؟

محمد عبيد*

هنيئاً لحزب الله، فقد كان الحاضر الأكبر في الزيارة الرئاسية إلى واشنطن، دون أن يذهب، وهنيئاً لإسرائيل، فقد وجدت في هذه السلطة السياسية ضالّتها، بين مُكرَس لاحتلالها ومُبرّر لحروبها على لبنان بادّعاء «اعتداء» الفلسطينيين واللبنانيين عليها!

اليوم تمّ طرق باب واشنطن، وغداً ستُطرق أبواب الرياض وأنقرة ودمشق لتخليص لبنان من كل مكوّناته المُقاومة، ومعها تسقط مُحرّمات وطنية وتُقدَّم تنازلات سيادية، بدلاً من إخراج العدو من لبنان. في حين أن طرق باب الحوار الوطني المسؤول والشفّاف مع قيادة حزب الله وبين جميع اللبنانيين كان كافياً لمعالجة أزمات لبنان المتراكمة منذ عقود، وليس موضوع سلاح المقاومة وحده، عندها فقط كان طبيعياً الاستفادة من علاقات لبنان وصداقاته الخارجية كما كانت المحاولة التي جرى العمل عليها مع القيادة القطرية، والتي تمّ إجهاضها في الغرف الإقليمية والدولية السوداء!

ومع الاعتذار المُسبق من الإخوة المسؤولين في دولة قطر، فإنّي وجدت نفسي مضطراً إلى تبيان الحقائق الموثّقة رداً على حملات التجنّي السياسية والإعلامية التي طاولت قيادة حزب الله، بذريعة عدم تجاوبها مع كل المحاولات الداخلية والخارجية لصياغة رؤية وطنية جامعة حول سلاح المقاومة بما يكفل أحقية الدولة في امتلاك قرار الحرب والسلم، كذلك بهدف الإضاءة على أدوار إيجابية لدول خارجية وفي مقدّمها قطر في إطار تعزيز التفاهمات الداخلية اللبنانية حفاظاً على الاستقرار والسلم الأهلي.

كان من المفروض أن تكون قطر رافعة أساسية لإعادة تكوين السلطة في لبنان بدءاً من رئاسة الجمهورية مروراً بالحكومة وصولاً إلى إعادة صياغة توازنات تشاركية داخلية تسمح بإطلاق مسار عمل الدولة، غير أن ما سبق الاستحقاق الرئاسي من تجاذبات حول الأدوار الإقليمية والدولية في لبنان وضع قطر في لحظة اختبار شخص الرئيس خارج دائرة قرار الاختيار ليتم حصره بين الطرفين السعودي والأميركي.

راهنت الدوحة على قبول جميع الأطراف اللبنانية بدورها ووقوفها إلى جانب اللبنانيين في أحلك الظروف، والتي تضمّنت زيارة الأمير الراحل حمد بن خليفة إلى الضاحية الجنوبية والجنوب عقب انتصار تموز 2006، وكانت إيذاناً بتبنّي قطر لمعظم مشروع إعادة الإعمار، قبل أن تقود الجهد الكبير لمعالجة تداعيات قرارات حكومة فؤاد السنيورة في 5 أيار من عام 2008، فاستضافات الأطراف كافة، وانتجت «اتفاق الدوحة» الذي سمح بإعادة تشكيل السلطة بجميع مستوياتها، وتنظيم الخلاف بين السلطة وحزب الله حول مسألة سلاح المقاومة، من خلال «ربط نزاع» سرعان ما أُسقط سياسياً عبر ما سُمّي «إعلان بعبدا» وتباعاً إطلاق الرئيس الأسبق ميشال سليمان لشعار «المعادلة الخشبية»...

في هذه الجولة، خان الحظ بعض المسؤولين القطريين عن الملف اللبناني، فلم يلتقطوا إشارة انطلاق العمل على إخراج لبنان من حالة اللاسلطة مباشرة بعد سقوط النظام السوري السابق، فخرجت الدوحة من المعادلة ومعها من دول الخماسية المتبقّية: فرنسا ومصر ليقتصر أمر إدارة السلطة اللبنانية على الولايات المتحدة الأميركية والسعودية. تبع ذلك تواصل محدود بين الرئيس الوافد جوزاف عون وبعض المسؤولين القطريين، وعندها، تولّيت أنا، إدارة حوار حول ضرورة عدم إهمال الدور القطري والاستسلام للاستحواذ السعودي على مفاصل القرار في السلطة. وقد سبقت محاولتي هذه، مساعٍ عبر صديق نافذ في الدوحة لإيجاد قناة تواصل مباشر، فكان الاتصال الأول مع الوزير القطري الدكتور محمد الخليفي في 20 كانون الثاني عام 2025، أي بعد أيام معدودة من وصول عون إلى سدّة الرئاسة. ثم تمّ ترتيب زيارة لوفد قطري إلى بيروت في 4 شباط من العام نفسه برئاسة رئيس الوزراء وزير الخارجية الشيخ محمد بن عبد الرحمن آل ثاني والذي ضمّ الخليفي الذي التقيته في مكتب خاص في قصر بعبدا، وكانت البداية لإطلاق مسارين: الأول، العمل على صياغة مبادرة تتبنّاها قطر للدفع بالحوار بين الرئيس عون وقيادة حزب الله مُمثلة بعضو مجلس شورى القرار فيه محمد رعد إلى خواتيم سعيدة. والثاني، وضع رؤية لمبادرات تنموية واستثمارية استراتيجية في لبنان تدعمها قطر.

2 - تفاهم أولي حول طبيعة المرحلة الانتقالية، يهدف إلى وضع السلاح تحت إشراف الدولة.

3 - اتفاق على جدول زمني للمرحلة التالية، يتضمّن التزامات متبادلة وضمانات سياسية وأمنية.

المفارقة أن جواب الحزب كان متقدّماً على مضمون خطاب القسم في ما يتعلق بموضوع احتكار الدولة لحمل السلاح، فهو وافق على مبدأ حصرية استخدام السلاح بالدولة كذلك صلاحيتها الأحادية باتخاذ قرار الحرب والسلم، على عكس ما دأبت بعض مواقع السلطة والماكينات الإعلامية والسياسية التي تروّج لها حول رفض الحزب لذلك كله.

كما أن الجواب أبقى النقاش مفتوحاً حول ما ورد في الفقرتين 2 و3، خصوصاً لجهة الضمانات الأمنية والسياسية التي ستوفّرها الدولة لقيادات الحزب وكوادره وبيئته باكملها في ظل هذا المشهد السياسي والأمني المتفجّر الذي كان يلف لبنان والمنطقة كلها، وفي ظل وقائع خطيرة يتقدّمها استمرار العدوان الإسرائيلي بأشكال مختلفة بما يتناقض مع اتفاق 27 تشرين الثاني 2024، إضافة إلى عدم وضوح موقف السلطة السورية الجديدة من حزب الله وبيئته، ولذا تضمّنت المبادرة أيضاً ملاحظة حول استعداد قطر لتعزيز الجهود من أجل تحقيق الاستقرار بين لبنان وسوريا.

لكنّ الذي حصل، هو أنه تمّ دفن هذه المبادرة في أحد أدراج مكتب رئيس الجمهورية، خصوصاً عند تبنّي عون وحكومة نواف سلام ورقة توم برّاك «اللقيطة»، والتي تلطّت خلفها السلطة مجتمعة للتنصّل من أي مسعى لتعزيز الحوار مع حزب الله، والأخطر هو الانتقال من عنوان احتكار حمل السلاح بيد مؤسسات الدولة الأمنية والعسكرية وفقاً لخطاب القسم، إلى قرار نزع سلاح المقاومة ومحاصرة الحزب سياسياً وقانونياً.

على أيّ حال، أثبتت الكثير من الوقائع أن نوايا فريق السلطة كانت حاقدة ضد المقاومة، وحتى ضد كل الشيعة، انطلاقاً من رغبات إقليمية ودولية بتصفية حسابات قديمة تتعلّق بأدوار المقاومة الإسلامية منذ نشأتها الأولى في عام 1983 وصولاً إلى موقفها التاريخي المُشرّف نصرةً لفلسطين ولأهل غزة بالأخص. لذا بات واضحاً أن المبادرات الخارجية سواء أكانت قطرية أم غير قطرية لم تكن لتنجح في ثني رافعة السلطة الحالية الأميركية-السعودية عن بلوغ مبتغاها.

*سياسي، والمدير العام السابق لوزارة الإعلام

> **بعدما وافق حزب الله على المُسوّدة، ردّ عون والحكومة بتبنّي ورقة براك وقرارات 5 آب، واقفلا الباب امام اي تسوية**

نصّ مُسوَّدة الاتفاق القطري

مُسوَّدة مُنقَّحة لمبادرة وساطة قطرية
لإنهاء التوتّر بين الحكومة اللبنانية وحزب الله.

تمهيد:
انطلاقاً من التزام دولة قطر المستمر بدعم الأمن والاستقرار في لبنان، وحرصاً على تجنيب الشعب اللبناني مزيداً من التدهور الأمني والاقتصادي، تُقدِّم دولة قطر مُبادرة وساطة سياسية من مرحلة واحدة تهدف إلى تهدئة الأوضاع الداخلية وتوحيد القرار السيادي اللبناني، بما يُساهِم في إعادة البناء الوطني وتعزيز الاستقرار السياسي والاجتماعي.

تستند المبادرة إلى مبدأ الاحترام المُتبادل بين الأطراف اللبنانية، والواقعية السياسية، وعدم الإقصاء، وتكافؤ الالتزامات وتوفير الضمانات، وتُبنى على مخرجات حوار لبناني - لبناني صريح يتضمّن مُراعاة هواجس حزب الله الأمنية والسياسية، ويهدف إلى تعزيز ثقة الأطراف المختلفة في إطار توافق وطني شامل.

المرحلة الأولى: حوار داخلي لبناني - لبناني
المدة المُقترحة: تُحدّد لاحقاً بالاتفاق بين الأطراف

الهدف:
إطلاق قناة حوار مباشرة بين فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية (بصفته رمز وحدة الدولة) والنائب محمد رعد (عضو مجلس شورى القرار في حزب الله) بهدف:
* تبادل الهواجس وضمانات الطمأنينة المُتبادلة.
* وضع أرضية تفاهم بشأن مستقبل سلاح الحزب وموقعه ضمن الدولة.
*صياغة إعلان نوايا يُحدِّد معالم دور الحزب في الحياة السياسية والأمنية اللبنانية، مع مراعاة هواجس الحزب الأمنية والسياسية أثناء الحوار.

الآلية:
* تُعقد جلسات الحوار في القصر الجمهوري، برعاية رئاسة الجمهورية، وبحضور فريق قطري بصفة مراقب ومُيسِّر.
* يعتمد الحوار على مبدأي السرية والشفافية.
يُتوّج باتفاق أوّلي مشترك يتضمّن إعلاناً رسمياً عن التفاهمات الأساسية. النتائج المتوقّعة:

1. إعلان تفاهم مُشترك يؤكّد على ما يأتي:
* إن قرار السلم والحرب هو من صلاحيات الدولة اللبنانية ومؤسساتها الدستورية حصراً.
* إن استخدام السلاح مرتبط حصراً بقرار سيادي يصدر عن مؤسسات الدولة الشرعية.
2. تفاهم أوّلي حول طبيعة المرحلة الانتقالية، يهدف إلى وضع السلاح تحت إشراف الدولة.
3. اتفاق على جدول زمني للمرحلة التالية، يتضمّن التزامات مُتبادلة وضمانات سياسية وأمنية.
الهدف السياسي الأسمى للمرحلة الأولى:
دمج حزب الله سياسياً في الدولة والمجتمع اللبنانيَّيْن، ما يتيح لرئيس الجمهورية تمثيلاً جامعاً لكل اللبنانيين، بمن فيهم الحزب على الصعيد الدولي.
الدور القطري التزام بالوساطة والدعم
* تلتزم دولة قطر بدور المُيسِّر والمراقب المحايد في جميع مراحل المبادرة، دون أي انحياز إلى أي طرف.
* يركّز الوسيط القطري في جميع مراحل الحوار على مُراعاة هواجس حزب الله السياسية والأمنية، لضمان ضمانات أمنية واضحة تلبّي احتياجات جميع الأطراف.
المُلاحظة الأخيرة:
بما أن هناك وفداً أمنياً سورياً في لبنان حالياً، فإن دولة قطر ستراقب نتائج هذا التواجد عن كثب، وفي حال كانت أيّ خطوة من هذا القبيل تساهم في الاستقرار والأمن في لبنان، فإن دولة قطر ستدعمها وتعزّز الجهود البذولة من أجل تحقيق هذا الاستقرار.
الهدف النهائي للمبادرة هو تحقيق ما يأتي:
*اندماج حزب الله الكامل في الدولة اللبنانية، سياسياً وأمنياً، من خلال عملية حوار شاملة.
*استعادة القرار السيادي اللبناني الموحّد داخل الدولة ومؤسساتها.
*تهيئة بيئة سياسية مستقرة تتيح للبنان اتخاذ قراراته السيادية بشكل مستقلّ ومؤسّسي.

تقرير

كفررمان تعود بإمكاناتها: تضرُّر 1100 منزل... وغياب الدولة يُثقِل إعادة الإعمار

نور محمود

ترك العدوان الإسرائيلي على بلدة كفررمان ندوباً عميقةً في البشر والحجر والذاكرة. أبرزُ بلدات قضاء النبطية، الشهيرة بـ«دوارها» المعروف بـ«دوار كفررمان»، والذي حوّلها إلى نقطة وصل بين مدينة

لم يمنع الإطباق المعادي على كفررمان من عودة الحياة إليها ولو بشكل جزئي

النبطية ومنطقة البقاع الغربي من جهة، ومنطقة إقليم التفاح من جهة ثانية، فضلاً عن الامتداد الجغرافي الذي يصلها بالقرى الجنوبية الأبعد، دمّر القصف الإسرائيلي ثلث وحداتها السكنية تقريباً، ومنع احتلال جزء من التلال المحيطة فيها عودة السكان إلى كامل أحيائها.

ولكن، لم يمنع الإطباق المعادي عليها عودة الحياة إليها، ولو بشكل جزئي. ومع بدء عودة الأهالي

أطفال يلعبون كرة القدم أمام مبنى مدمر في بلدة كفررمان (الأخبار)

برزت تحدّيات كبيرة في البلدة، منها إزالة الركام، وتأهيل المرافق الحياتية في بلدة أنهكتها الحرب. ومحاولات العودة هذه تتم بشكل عفوي من الأهالي والبلدية فقط، في غياب شبه تام لأجهزة الدولة التي لم تؤمّن حتى اليات كبيرة للمساهمة في إعادة فتح الطرقات، علماً أنّ الآليات التابعة للبلدية معظمها دمّرته الحرب الإسرائيلية.

«في كفررمان أكثر من 1100 منزل متضرّر»، يقول رئيس بلديتها عبدالله فرحات الذي يصف حجم الدمار بـ«غير المسبوق»، فالبلدة تحتوي على ما يقارب 6 آلاف وحدة سكنية، 35% منها مُتضرّرة أو مُدمَّرة. من بين المنازل المتضرّرة 250 وحدة سكنية غير صالحة للسكن، تتوزّع بين 130 منزلاً تعرّضت لتدمير جزئي، و120 منزلاً هُدّمت كلياً. هذا على مستوى الحجر، أمّا الخسائر البشرية في القرية، فبلغت 33 شهيداً، بحسب آخر إحصاءات البلدية، يقول فرحات.

ولكن، مع إعلان الهدنة في 17 نيسان 2026، لم تنتظر بلدية كفررمان استقرار المشهد الميداني والانسحاب الكامل لجيش الاحتلال، بل باشرت أعمالها منذ اللحظات الأولى لتسهيل عودة الأهالي. وفي حديثه مع «الأخبار» يشير فرحات إلى أنّ «البلدية واكبت عودة السكان منذ اليوم الأول، وفرق الأشغال كانت على الأرض مباشرةً بعد إعلان الهدنة، حيث عملت على إزالة الركام وفتح الطرقات العامة لتسهيل حركة العائدين بكل الإمكانات المُتاحة».

وفي سياق مرتبط، ولتسهيل عودة السكان إلى كفررمان، لم تتوقف جهود البلدية عند إزالة آثار الدمار، بل باشرت أعمال صيانة شبكات المياه المتضرّرة. وفي غياب تام للحكومة، تدفع البلدية نفقات إعادة التأهيل من موازنتها الخاصة. فالعدوان أدّى إلى تعطيل أجزاء واسعة من شبكة المياه. وهنا يوضح فرحات أن «فرق البلدية أصلحت أكثر من 74 عطلاً في مختلف أحياء البلدة، بالتوازي مع متابعة مستمرة مع مؤسسة مياه لبنان الجنوبي لضمان إعادة تغذية الشبكة بالمياه». أمّا في ما يتعلق بالكهرباء، فقد سعت البلدية مع أصحاب المولّدات لإعادة تشغيلها، والمساهمة في إصلاح الأعطال على خطوط النقل لإعادة التيار إلى عدد من أحياء البلدة. وبالنسبة إلى «كهرباء الدولة»، فالعمل على وصل الخطوط مستمر من دون أن يؤدّي إلى نتيجة ملموسة حتى اليوم.

وعلى الرغم من «الإعلان الاسمي» عن وقف إطلاق النار، يشير فرحات إلى أن معاناة البلدة لم تنتهِ، إذ تستمر الاعتداءات الإسرائيلية على أطرافها، ولا سيما في «بوحة كفررمان»، والتي لا يزال دخولها محظوراً على الأهالي نتيجة تمركز القوات الإسرائيلية على «تلال الطهرة» المُشرفة عليها. وبحسب فرحات «هذه المنطقة تمثّل جزءاً من الذاكرة البيئية للبلدة، والتي حاول العدو الإسرائيلي في العاشر من تموز 2026 إحراق محمية شهداء كفررمان داخلها بطريقة مُمنهجة، بإلقاء مواد حارقة عليها»، علماً أن المحميّة تضم نحو 8500 شجرة صنوبر يناهز عمرها مئات السنين.

قصص أبناء البلدة الذين قرّروا العودة على الرغم من الدمار الكبير. أبو محمد شكرون أحد هؤلاء، دُمّر منزله في غارة إسرائيلية قبل دقائق من إعلان الهدنة، إلا أنّه يرى أنّ «العودة بحدّ ذاتها فعل صمود». ويقول: «أمام تضحيات الشهداء كل الخسائر بسيطة». واليوم أعاد شكرون فتح محلّه التجاري، معتبراً أنّ «الحركة التجارية ستعود قريباً إلى القرية، والبيت سيعاد إعماره، والعزيمة لا تُهزم».

في وسط البلدة، دمّرت غارة إسرائيلية صالوناً نسائياً لتصفيف الشعر، صاحبته إيناس غبريس التي لا ترى أنّ الدمار الذي أصاب مشروعها أنهاه، بل دفعها إلى البدء من جديد. تقول: «عندما عدت إلى القرية بعد الحرب افتتحت محلاً ثانياً، وهذا أول شيء قمت به لأننا لن نستسلم، ومهما عظمت الخسائر سنقف مجدداً».

وفي مكان آخر من البلدة، تقف خسارة ميساء غبريس، الطبيبة النفسية، شاهدة على الوجه الاقتصادي والاجتماعي للحرب. فمعرضها ومكتبتها «نبض الجنوب»، اللذان شكّلا على مدى ثماني سنوات مقصداً للأهالي، ولا سيما مع كل موسم دراسي، لم ينجُوا من الدمار. تصف غبريس ما جرى قائلةً: «لم يبقَ شيء في مكتبتي»، وتقدّر قيمة الخسائر في السلع وحدها بنحو 150 ألف دولار. ولكن ترفض غبريس أن تكون الخسارة نهاية المشروع، مؤكدةً أنّها بانتظار تحسّن الأوضاع الأمنية كي تعيد افتتاح مكتبتها.

هذه الشهادات ليست استثناءً في كفررمان، بل هي انعكاس لمزاج عام يسود البلدة. بين منزل يُعاد ترميمه، وحقل يعود إليه صاحبه، ومتجر يفتح أبوابه من جديد، تتجلّى إرادة جماعية ترى في العودة فعل مقاومة للحرب نفسها. بالنسبة إلى عدد كبير من أبناء كفررمان، لا تُقاس الهزيمة بحجم الدمار، بل بقدرة الحرب على انتزاع الإنسان من أرضه. فهم اختاروا البقاء حيث أراد لهم العدو أن يرحلوا.

نور...

تحقيق

خارج جداول التعويضات: المؤسسات تدفع تكلفة الحرب وحدها

مؤسسة تجارية في عربصاليم تستخدم المستوعبات كمكاتب ونقاط عمل (الأخبار)

فاطمة خشاب درويش

في حربَيْ 2024 و2026 غابت المؤسسات التجارية والصناعية عن جداول التعويضات الرسمية وغير الرسمية، ولا يزال ملف الخسائر التي بهذه الفئة المُنتِجة في البلدات الجنوبية خارج دائرة الاهتمام الرسمي، في ظل تركيز المتابعة غالباً على الأضرار التي أصابت الوحدات السكنية، فيما بقيت خسائر أصحاب المؤسسات بما تمثله من استثمارات ورؤوس أموال وفرص عمل ودورة اقتصادية محلية من دون مسار واضح للحصر والمعالجة.

في جولة ميدانية لـ«الأخبار» في بلدة عربصاليم الجنوبية لرصد واقع المؤسسات التجارية فيها، وهي إحدى بلدات منطقة إقليم التفاح الجنوبية، والتي تضم نحو 50 مؤسسة متنوّعة بين الإنتاج والتجارة والخدمات تخدم أبناء البلدة والقرى المحيطة بها، تظهر ضخامة حجم الأضرار مقابل الجهود الفردية المبذولة لإعادة تشغيل المصالح في غياب المسح الرسمي الشامل للخسائر التجارية.

على سبيل المثال، يقدّر محمد فرّان خسائره بمليون ونصف مليون دولار، يقول إنّها «تحت الركام الذي دفن مجمعه التجاري»، فيما يشير صاحب «مؤسسة الطيب للأجبان والألبان» إلى أنّ خسائره بلغت نصف مليون دولار، بينما وصل حجم الأضرار في معمل «TK juice» إلى 200 ألف دولار. هنا يرى الخبير الاقتصادي حسن مقلد أن «استهداف المؤسسات الاقتصادية لا يمكن فصله عن طبيعة الحروب التي تطاول لبنان»، مشيراً إلى أن «العدوان الأخير لم يقتصر على مواقع مرتبطة بالمواجهة العسكرية، بل طاول منشآت إنتاجية وزراعية وخدمية وبنى أساسية ترتبط بحياة الناس». بالنسبة إلى مقلد «خسارة أي مؤسسة لا تعني خسارة صاحبها فقط، بل تمتد إلى العمال والموّردين والأسواق والدورة الاقتصادية المحلية». إلا أن التحدّي الأكبر اليوم، وفق مقلد، يتمثّل في صعوبة حصر حجم الخسائر بسبب تنوّع الأضرار التي تشمل الأبنية والمعدّات والإنتاج وتعطّل النشاط الاقتصادي.

لذا يرى أن «إعادة النهوض تحتاج إلى خطة وطنية تبدأ بمسح شامل للأضرار وتحديد الحاجات الفعلية للمؤسسات المتضررة، خصوصاً أن أصحاب المؤسسات سبقوا أي مسار رسمي عبر محاولات الإصلاح وإعادة التشغيل». ففي منطقة تجارية حيوية في قلب عربصاليم، كان يقع المجمع التجاري العائد لمحمد فرّان، والذي شكّل على مدى سنوات مساحة اقتصادية تضم فرناً للمعجّنات بمساحة 250 متراً مربّعاً، وملحمة مُجهّزة، وسوبرماركت ومستودعات ومرافق أخرى.

أدّت الغارة الإسرائيلية التي استهدفت المكان إلى تدمير المجمع بالكامل، ولم تقتصر الخسائر على المبنى، بل طاولت الآلات والتجهيزات والمخزون والبضائع. وعلى الرغم من حجم الضرر، لم ينتظر فرّان مسار التعويضات، بل عمل على إنشاء بديل مؤقّت لإعادة الإنتاج، فاشترى حاويتين وحوّلهما إلى مساحة فرن، وأعاد تأمين المعدّات اللازمة، انطلاقاً من أن توقّف المؤسسة يعني خسارة مصدر رزق لعائلات عدة وتعطيل جزء من الحركة الاقتصادية في البلدة. في سياق مرتبط، لم تقتصر الأضرار على المؤسسات التجارية التقليدية، بل طاولت المرافق المرتبطة بحياة الناس اليومية. فقد دمّرت إسرائيل عمداً محطة المحروقات العائدة لإسماعيل وهبة، والذي يقدّر الخسائر بأكثر من مليون دولار. ويشير وهبة إلى أن إعادة تشغيل المحطة كانت أولوية له، لأن توقّفها لا يعني خسارة مؤسسة خاصة فقط، بل تعطيل خدمة أساسية يحتاج إليها أبناء البلدة. لذا بادر إلى إصلاح الأضرار وتأمين الأموال اللازمة لإعادة العمل، مؤكداً أن استمرار المؤسسات يشكّل جزءاً من الحفاظ على الحياة الاقتصادية في عربصاليم.

أمّا المؤسسات المرتبطة بالصناعات الغذائية، فلم تسلم من العدوان أيضاً. منذ عام 1999، شكّلت مؤسسة الطيب للألبان والأجبان إحدى المؤسسات الغذائية الأساسية في عربصاليم وإقليم التفاح. في العدوان الأخير، استهدفت ضربة إسرائيلية قلب الساحة التجارية حيث تقع المؤسسة، ما أدّى إلى تدمير المبنى والتجهيزات والمخزون.

وبعد نحو أسبوع من الاستهداف، أعيد تشغيل العمل من محل أصغر مقابل المؤسسة المُدمّرة، حفاظاً على تأمين حاجات الأهالي. وفي قطاع إنتاج العصائر الطبيعية، لم تقتصر خسارة معمل «TK Juice» على الأضرار المادية، بل طاولت شبكة العمل التي بناها على مدى سنوات. فالمعمل كان يؤمّن مصدر رزق لأكثر من عشرين عائلة، ويرتبط بشبكة واسعة من الزبائن في عدد من البلدات الجنوبية. في 24 أيار الماضي، استُهدف المعمل بغارة إسرائيلية، ما أدّى إلى تضرّر نحو نصفه. ويقدّر صاحبه طه قبلان الخسائر بنحو 200 ألف دولار، تشمل الأضرار التي لحقت بالمبنى والمعدّات وأربع سيارات، بينها سيارة مُبرّدة.

لكن الخسارة الأكبر، وفق قبلان، كانت في تراجع الإنتاج وفقدان جزء من الأسواق. فالإنتاج الذي كان يصل إلى نحو 3 آلاف قنينة يومياً تراجع إلى النصف تقريباً، بسبب الأضرار، وتعذّر الوصول إلى عدد من المناطق التي كانت تشكّل جزءاً من شبكة التوزيع، فضلاً عن تضرّر محال الزبائن. ويؤكد قبلان أن المؤسسة تواصل العمل بالحد الأدنى للحفاظ على الموظفين وإعادة توسيع النشاط، على الرغم من غياب أي تعويض أو مساعدة مالية.

البلدية تحصي الأضرار

يشير رئيس بلدية عربصاليم علي حسن إلى أن البلدة تضم أكثر من خمسين مؤسسة تجارية تعرّضت لأضرار متفاوتة، وأن البلدية قامت بإحصاءات ومعاينات أولية ضمن إمكاناتها. بالتوازي مع العمل على إعادة الخدمات الأساسية ومساعدة بعض المؤسسات على إيجاد بدائل مؤقتة. لكن حجم الأضرار، وفق حسن، يفوق قدرات البلديات، ما يستدعي دعماً رسمياً يساعد على إعادة إطلاق الحركة الاقتصادية.

مولّدات الكهرباء دمّرها العدوان أيضاً

طاولت الأضرار الناجمة عن الغارات الإسرائيلية قطاع الخدمات أيضاً، إذ أدّى استهداف موقع «اشتراك الرحمة» إلى تدمير منظومة كهرباء كانت تؤمّن الخدمة لعدد كبير من أبناء عربصاليم. ويشرح صاحب الاشتراك حيدر أن «القصف أدّى إلى احتراق الموقع الذي كان يضم مولّدين بقدرة 500 و350 KVA، وثلاثة خزانات وقود تحتوي على نحو 16 ألف ليتر من المازوت، إضافة إلى الكابلات وأنظمة التحكم». ويقدّر حيدر الخسائر بنحو 300 ألف دولار، مؤكداً أنّه لم يتلقَّ أي تعويض مالي، باستثناء مساعدات عينية من البلدية. ومنذ اليوم الأول للهدنة، بدأ بإصلاح الأضرار وإعادة تأهيل الشبكات، انطلاقاً من أن استمرار الخدمة جزء من استمرار الحياة في البلدة.

تقرير

عندما تتحوّل العودة إلى فعل مقاومة

على الرغم من أن العودة إلى بلدة كفررمان لا تزال خجولةً ومحفوفةً بالمخاطر، بفعل موقعها القريب من «تلال الطهرة» المحتلة من العدو، والاعتداءات الإسرائيلية شبه اليومية عليها، فضلاً عن ما خلّفته الحرب من دمار واسع على منازلها

تشير أم علي سلامة إلى أنّها نزلت إلى الحقل، وزرعت الملوخية منذ اليوم الأول لوقف إطلاق النار

وبنيتها التحتية، ما يؤدّي إلى منع الأهالي من الاستقرار بشكل الكامل، يعود أهالي القرية مدفوعين بقناعة راسخة مفادها أنّ «خسارة الأرض لا تبدأ بالاحتلال أو بالدمار، بل عندما يتخلّى أصحابها عنها».

تختصر أم علي سلامة هذه العلاقة الاستثنائية مع البلدة بعبارات بسيطة، وتقول: «جرّبنا الدمار والحروب، ولكن كفررمان مقاومة وسترجع أحلى مما كانت». ولا تتوقف أم علي عند الحديث عن البلدة بوصفها مكاناً، بل تربطها بالأرض التي صنعت الحياة لأهلها. وفي يوم عودتها الأول تشير إلى أنّها «نزلت إلى الحقل، وزرعت الملوخية»، مؤكدةً أنّها ومنذ اليوم الأول لوقف إطلاق النار «تقوم بسقايتها، والاهتمام بها». وتصف أهل قريتها بأنّهم «متعلّقون بالأرض كثيراً، بالتراب والزراعة، فالبيوت عُمّرت حجارتها من التعب بالأرض، وهكذا نحن لا نتخلى عن أرضنا، ومهما طالت مدّة التهجير، نعود إلى كفررمان».

ولا يقف هذا التمسك بالأرض عند حدود الكلام، بل يترجم نفسه في

أم علي سلامة تقوم بري مزروعاتها في بلدتها كفررمان (الأخبار)

تقرير

البيت الذي كان مفتوحاً للجميع: كيف أحرق العدوان ذاكرة ثمانية عقود

عندما عاد سعد عبد العزيز الزين إلى دارته في كفررمان، لم يكن يبحث عن الجدران التي بقيت واقفة. كان يبحث عن رسائل والده التي رافقته في سنوات اغترابه، والبومات الطفولة، ورسومات أولاده الأولى، وصور عائلية لم يكن لها نسخ أخرى، ومخطوطات ووثائق مرّت بين أيدي رجال صنعوا جزءاً من تاريخ

لم تدمّر الحرب منزلاً أثرياً فحسب بل أصابت مكاناً اختزن جانباً من الذاكرة السياسية والاجتماعية والثقافية

هذا البلد. فلم يجد سوى الرماد.

في التاسع من أيار 2026، أصابت غارة إسرائيلية دارة الزين مباشرة، فأسقطت سقوفها وقناطرها الحجرية. وبعد أسبوعين، في الخامس والعشرين من أيار، عادت الطائرات لتستكمل ما بدأته، فأحرقت الحديقة وألحقت أضراراً جسيمة بدارة يوسف الزين المجاورة. لم يكن الاستهداف يطاول حجارةً فقط، بل ذاكرة امتدّت ثمانية عقود. يقول سعد الزين إن «البيوت يمكن أن تُبنى من جديد، أمّا الذاكرة فلا». بالنسبة إليه، لم تكن الخسارة منزلاً، بل «اقتلاع جذور». ومع ذلك، لا يتحدّث عن الدارة بوصفها نهاية، بل بداية جديدة. منذ الأيام الأولى لعودته، أزال ركام الحديقة، وبدأ يفكر في إعادة بناء البيت واستعادة هويّته قدر المستطاع، ليبقى كما كان دائماً مفتوحاً له ولعائلته ولكل من يقصده. لم تكن عبارة «تفضّلوا..أهلاً وسهلاً» البيت بيتكم» مجرد تحية يستقبل بها ضيوفه، بل اختصاراً لفكرة كاملة. فما إن يعبر الزائر البوابة الحجرية حتى يجد نفسه في فضاء يروي تاريخاً: أشجار صنوبر هرمت مع البيت، و«الحاووز» الحجري في قلب الحديقة، وقناطر من الحجر تعلوها أسقف القرميد الأحمر، فيما تبدو الدارة كأنها قطعة من جبل عامل بقيت خارج الزمن. قصة البيت تعود إلى عام 1945 حين شيّد عبد العزيز الزين المنزل بمحاذاة دارة والده يوسف الزين، التي شكّلت محطة دائمة للحياة السياسية والاجتماعية في الجنوب. بين الدارتين، لم يكن هناك فصل بين العام والخاص، تُناقش شؤون البلاد في الغرف، فيما تعبق الطبقة السفلية برائحة التبغ الذي عاش منه أبناء المنطقة لعقود. حتى العمارة لم تكن ترفاً، بل امتداداً لعلاقة الناس بالأرض؛ سقوف مرتفعة، وحجر صخري، وقرميد يحمي البيت من تقلّبات الفصول. عندما ورث سعد الزين الدارة، لم يرث بيتاً قديماً يحتاج إلى ترميم، بل ذاكرة كاملة. بعد تحرير الجنوب عام 2000، بدأ رحلة طويلة لإعادتها إلى الحياة بعدما أصابها عدوان الاحتلال. أعاد بناء القناطر، ورمّم «الحاووز»، واستعاد ملامح البيت الأصلية، ثم حوّله إلى مساحة تحفظ ذاكرة الجنوب. في غرفه، جمع أدوات المزارعين الذين صنعوا هوية الريف الجنوبي: المناجل، والمعاول، و«المورج»، و«الفدان»، إلى جانب مدفع عثماني وقطع تراثية وأسلحة قديمة. وعلى الجدران، علّق صوراً ووثائق ورسائل وصحفاً ومخطوطات تؤرّخ لعائلة ارتبط اسمها بمحطات سياسية ووطنية، من يوسف الزين إلى عبد العزيز الزين والنائب عبد اللطيف الزين. لم تكن تلك المُقتنيات زينةً لمتحف، بل أرشيفاً لذاكرة الجنوب.

لكن قيمة الدارة لم تكن في مُقتنياتها وحدها، بل في الحياة التي احتضنتها. بقيت أبوابها مفتوحة للندوات والأمسيات الثقافية واللقاءات العامة، وجمعت حول طاولة واحدة رجال دين من طوائف مختلفة، وسياسيين ومثقّفين ومزارعين وشباباً من أبناء البلدة. لم يكن سعد يبحث عن اتفاق بينهم، بل عن مكان يتشاركونه. كان يؤمن بأن البيت الذي يغلق بابه يفقد معناه، وأن التراث لا يُختزل في الحجر، بل في قدرته على جمع الناس.

وحتى «معمل الدخان» أسفل المنزل، إلى عام 1945 حين شيّد عبد العزيز الزين المنزل بمحاذاة دارة والده يوسف الزين، التي شكّلت محطة دائمة للحياة السياسية والاجتماعية في الجنوب. بين الدارتين، لم يكن هناك فصل بين العام والخاص، تُناقش شؤون البلاد في الغرف، فيما تعبق الطبقة السفلية برائحة التبغ الذي عاش منه أبناء المنطقة لعقود. حتى العمارة لم تكن ترفاً، بل امتداداً لعلاقة الناس بالأرض؛ سقوف مرتفعة، وحجر صخري، وقرميد يحمي البيت من تقلّبات الفصول. عندما ورث سعد الزين الدارة، لم يرث بيتاً قديماً يحتاج إلى ترميم، بل ذاكرة كاملة. بعد تحرير الجنوب عام 2000، بدأ رحلة طويلة لإعادتها إلى الحياة بعدما أصابها عدوان الاحتلال. أعاد بناء القناطر، ورمّم «الحاووز»، واستعاد ملامح البيت الأصلية، ثم حوّله إلى مساحة تحفظ ذاكرة الجنوب. في غرفه، جمع أدوات المزارعين الذين صنعوا هوية الريف الجنوبي: المناجل،

ما تبقى من جواز سفر والدة سعد الزين صاحب المنزل الأثري الذي دمرته إسرائيل في كفررمان (الأخبار)

رفض أن يتركه شاهداً على مهنة اندثرت. حوّله إلى معرض للمونة الجنوبية، يجمع إنتاج المزارعين ويسعى إلى تسويقه، انطلاقاً من قناعة رافقته دائماً: أن حماية الأرض تبدأ بمن يزرعها ويعيش منها.

وخلف الحديقة، تمتد مقبرة العائلة. كان سعد يبدأ كل زيارة بقراءة الفاتحة عن أرواح والدته وأخيه واعمامه وعماته وجدّاته، فيما يرقد جدّه في قلب المقبرة. بالنسبة إليه، لم يغادر الراحلون المكان يوماً، بل ظلوا جزءاً من روحه.

لم تدمّر منزلاً أثرياً فحسب، بل أصابت مكاناً اختزن جانباً من الذاكرة السياسية والاجتماعية والثقافية لكفررمان، سيُعاد بناء البيت، كما يقول صاحبه، لكنّ الرسائل، والصور، والمخطوطات التي احترقت في دقائق، لن يعيدها حجر جديد.

نور...

تقرير

موسم الأعراس انتهى قبل أن يبدأ: خسائر بمئات ملايين الدولارات

رضا صوايا

بعد سنوات من الانهيار المالي والأزمات المتلاحقة، علّق العاملون في قطاع الأعراس آمالاً كبيرة على موسم الصيف الحالي، بناءً على مؤشرات سياسية وسياحية بدت واعدة مع بداية العام، ومن حجوزات مبكرة أوحت بعودة تدريجية إلى الحياة الطبيعية. إلا أنّ الحرب التي اندلعت مطلع آذار قلبت المشهد رأساً على عقب، فتحوّلت الحجوزات إلى إلغاءات، والأعراس الكبيرة إلى احتفالات عائلية محدودة، فيما فضّل كثيرون تأجيل زفافهم أو إقامته خارج لبنان.

وتُجمع غالبية المصادر السياحية على أن قطاع الأعراس شهد تراجعاً راوح بين 70% و80% عقب الحرب الأخيرة، وهو انخفاض لا يقتصر أثره على أصحاب صالات الأفراح، بل ينعكس على الاقتصاد بأكمله. فالقطاع يُعدّ أحد المحرّكات الأساسية للنشاط الاقتصادي، نظراً إلى تشعّبه وارتباطه المباشر بعشرات المهن والقطاعات.

وتُظهر دراسة أعدّها Chateau Rweiss، وهو مجمع متخصص في استضافة حفلات الزفاف والمناسبات، بالتعاون مع عدد من منظمي حفلات الزفاف وبإشراف وزارة السياحة، أن قطاع الأعراس كان يساهم بنحو مليار دولار سنوياً في الاقتصاد اللبناني خلال الفترة الممتدة بين عامي 2009 و2019. وضمّ القطاع آنذاك نحو 600 شركة متخصصة، وفّرت فرص عمل لما يقارب 40 ألف موظف وعامل، بين دائم وموسمي، فيما استضاف لبنان سنوياً نحو 40 ألف حفل زفاف، بمتوسط كلفة بلغ 25 ألف دولار للحفل الواحد، أي ما يعادل مليار دولار. ولم يقتصر تأثير التراجع الحالي على أصحاب صالات الأفراح، بل امتدّ إلى سلسلة واسعة من المهن والقطاعات المرتبطة به، تشمل مُزيّني الشعر، وخبراء التجميل، وشركات الزفّة، ومتعهّدي خدمات الضيافة (Catering)، والمصوّرين، ومتاجر الورود، والمطابع، وموّردي الديكور والإضاءة والصوت، فضلاً عن آلاف العاملين الموسميين الذين يعتمدون على موسم الأعراس لتأمين الجزء الأكبر من دخلهم السنوي.

ويقول منظّم الحفلات والأعراس كارلوس سعيد إن الموسم بدأ بتوقعات مرتفعة، مع تسجيل عدد كبير من الحجوزات المبكرة، إلا أن التطورات الأمنية بدّدت هذه الآمال سريعاً. فمن أصل 12 حفل زفاف كان يتولى تنظيمها هذا الصيف، ألغيت تسعة أعراس بالكامل، فيما اضطر أصحاب الأعراس الثلاثة المتبقية إلى خفض ميزانياتهم إلى نحو النصف.

وتلفت مسؤولة العلاقات العامة في Chateau Rweiss ماريا بستاني إلى أن القطاع تلقّى ضربة قاسية أدّت إلى تراجع نشاطه بنحو 70%، بعدما أُلغيت غالبية الأعراس الكبرى، فيما فضّل عدد كبير من اللبنانيين، ولا سيما المغتربين، إقامة حفلات زفافهم في الخارج، في دول مثل تركيا وإيطاليا واليونان. وأوضحت أن الأعراس التي أُقيمت داخل لبنان كانت في معظمها لعروسين مقيمين، أو لعائلات مغتربة في الدول العربية تمكّنت من الحضور بسهولة نسبية، في حين فضّل معظم اللبنانيين المقيمين في الولايات المتحدة وكندا وأستراليا ودول الاغتراب البعيدة إلغاء حفلاتهم أو تأجيلها إلى أجل غير مُحدّد.

ولم تقتصر التداعيات على عدد الأعراس، بل شملت طبيعتها أيضاً. فبعدما كان متوسط عدد المدعوّين يُراوح بين 200 و300 شخص، انخفض في كثير من الحالات إلى ما بين 80 و120 مدعواً، فيما تشير بعض المؤسسات إلى تراجع العدد بنحو 50 إلى 100 مدعوّ في كل حفل. ويشير سعيد إلى أن كثيراً من العرسان كانوا يرغبون أساساً في إقامة حفلات أصغر حجماً، إلا أنهم كانوا يصطدمون أحياناً باشتراط بعض صالات الأفراح والمطاعم حداً أدنى من المدعوّين لتغطية الكلفة التشغيلية.

الجنوب وبيروت... الأكثر تضرراً

لم تشمل الخسائر سائر المناطق بالتساوي. فتلك التي طاولتها الاعتداءات، من بيروت إلى الجنوب، شهدت شبه شلل في قطاع الأعراس، بعدما أُلغيت غالبية الحفلات التي كانت مُقرّرة في مطاعمها ومنتجعاتها، أو استُبدلت باحتفالات عائلية صغيرة.

في المقابل، انتقل جزء من الحجوزات إلى مناطق أكثر استقراراً في جبل لبنان، ولا سيما كسروان وجبيل، إلا أن ذلك لم يكن كافياً لتعويض حجم الإلغاءات.

وتؤكّد إدارة مجمع Le Venue للمناسبات والأعراس في صيدا أن غالبية حجوزاتها كانت تعتمد أساساً على أبناء الجنوب والمغتربين، وأن الحرب أدّت إلى إلغاء عدد كبير من الأعراس. إلا أن التحسّن النسبي في الوضع الأمني ساهم في عودة بعض الحجوزات لشهري آب وأيلول. وفي السياق نفسه، أشار سعيد وبستاني إلى أن جزءاً من الأعراس المؤجّلة أعيدت جدولته في أشهر آب وأيلول وتشرين الأول، بعدما فضّل أصحابها عدم خسارة الحجوزات والدفعات الأولى التي سدّدوها.

الدفعة الأولى... عقدة الموسم

ومن أبرز الإشكاليات التي فرضتها الحرب قضية الدفعات الأولى التي سدّدها العرسان قبل أشهر من اندلاع الأحداث.

ويشير منظّمو حفلات الزفاف إلى أن إعادة هذه المبالغ لم تكن ممكنة في كثير من الحالات، ليس فقط بسبب البنود التعاقدية، بل أيضاً لأن هذه الدفعات تشكّل مصدر التمويل الأساسي للمؤسسات لدفع رواتب الموظفين والمصاريف التشغيلية خلال فصل الشتاء، حين يتراجع النشاط إلى حدّه الأدنى.

> شهد القطاع تراجعاً بنسبة 80% طاول عشرات المهن المرافقة

ولذلك، لجأت مؤسسات كثيرة إلى حلول وسط، تقوم على الاحتفاظ بالمبالغ المدفوعة ومنح أصحابها حق استخدامها خلال العامين المقبلين، سواء لإقامة حفل الزفاف المؤجّل أو لتنظيم أي مناسبة عائلية أخرى.

ودفعت هذه التجربة عدداً متزايداً من المقبلين على الزواج إلى المطالبة بإدراج بند واضح يتعلق بـ«القوة القاهرة» في عقود الأعراس، ولا سيما لتلك المقرّرة خلال عام 2027، بما يحدّد حقوق الطرفين في حال شهد لبنان تطورات أمنية.

(أ ف ب)

الأعراس لم تعد «تردّ كلفتها»

لم يعد حفل الزفاف عبئاً يقتصر على العروسين، بل امتدّ أيضاً إلى المدعوّين الذين باتوا يواجهون فاتورة مرتفعة تبدأ من الـ«ليست دو مارياج»، ولا تنتهي عند ثمن الفستان أو البدلة، وتصفيف الشعر، والمكياج، وأحياناً تكاليف التنقّل والإقامة.

ويؤكد كارلوس سعيد أن المبلغ الذي كان يُعدّ لسنوات معياراً متعارفاً عليه للهدايا، أي نحو 100 دولار للشخص، لم يعد يواكب الواقع الحالي في ظل التضخم والارتفاع الكبير في أسعار الخدمات المرتبطة بحفلات الزفاف. فقد ارتفعت كلفة خدمات الضيافة (Catering) بصورة ملحوظة، إذ يبلغ متوسط كلفة الضيف الواحد اليوم نحو 65 دولاراً، فيما تصل لدى بعض الشركات المعروفة إلى 100 دولار أو أكثر، من دون احتساب كلفة الصالة، والديكور، والتصوير، والموسيقى، وغيرها.

وانطلاقاً من ذلك، باتت الهدية التي تُراوح قيمتها بين 150 و200 دولار للشخص تُعدّ، في نظر كثيرين، أكثر انسجاماً مع الكلفة الفعلية، إذا كان الهدف هو المساهمة في تغطية جزء من نفقات الزفاف.

ورغم الاعتقاد السائد بأن حفلات الزفاف تتيح للعروسين استرداد معظم ما أنفقاه، يؤكّد سعيد أن هذا الأمر لم يعد صحيحاً في كثير من الحالات، إذ ينتهي عدد متزايد من الأزواج إلى تحمّل خسائر مالية نتيجة ارتفاع الكلفة الإجمالية للحفل، مقابل تراجع قيمة الهدايا أو انخفاض عدد المدعوّين. كما فرضت الأزمة سلوكاً جديداً لدى كثير من اللبنانيين، يتمثّل في الاعتذار عن عدم حضور بعض الأعراس، والاكتفاء بزيارة العروسين لاحقاً في منزلهما لتقديم هدية أو مبلغ مالي، تفادياً للنفقات الإضافية التي يفرضها حضور المناسبة، من ملابس وتجهيزات ومصاريف مرافقة.

كلمات متقاطعة 5138

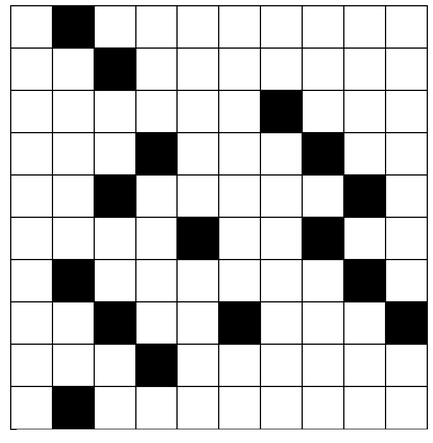

أفقيا

1- نُصب صخريّ في مصر – 2- قائد وسياسي فرنسي راحل – نوتة موسيقية – 3- مدينة في نيجيريا – مدينة تركية – 4- فكّ العقدة – فقد حياته – طالع الكتاب – 5- شاركه – يتبوع بالأجنبية – 6- يجري في العروق – للتمني – قطعة أرض ضيقة في علم الجغرافيا محصورة بين بحرين موصلة برّاً ببرّ أو شبه جزيرة ببرّ – 7- بطل سباق سيارات كندي راحل – 8- مدينة فرنسية – بئر عميقة – هيئة الملابس – 9- مدينة إيطالية – من الحيوانات – 10- قصر لبناني

عمودياً

1- مدينة في الكويت – إله – 2- أكبر وأشهر مدن الشرق القديم – شهر إيار بالأجنبية – 3- وكالة أنباء عربية – كسر الخبز اليابس بالإصابع بلغة العامة – 4- متشابهان – دولة آسيوية – 5- مدينة قبرصية – احصل على بالأمر – 6- ممثلة وراقصة شرقية مصرية – عائلة رئيس إيراني سابق – 7- في العود – ثوران الريح وهيجانها – 8- قرع الجرس – سرب – فقد عقله – 9- سفيرتنا الى النجوم – ربط وشدّ – 10- سوق شهيرة في القاهرة

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- الأصمعي – أر – 2- فينيكس – سلم – 3- ترسانات – 4- واحة – كابري – 5- دبا – تر – ويل – 6- رام – غرام – 7- تا – حسون – قح – 8- ديك الجن – 9- بو – أحبّ – مر – 10- مرهم – ابوجا

عمودياً

1- افروديت – بم – 2- لي – آب – ادور – 3- إنتحار – 4- صيرة – أحكام – 5- مكس – تمساح – 6- عساكر – ولبا – 7- نا – غنج – 8- سابور – نمو – 9- الترياق – رج – 10- رم – يلمحه

sudoku 5138

8				6	1			
	4			5		6	1	7
1				4				
			2	8	9			
7	6	2				5	9	8
			5	7	6			
			8	1				4
3	9	4					8	
			4	9				2

حلول الشبكة السابقة

4	5	9	7	1	8	2	6	3
3	7	8	2	6	9	1	4	5
2	6	1	3	5	4	9	7	8
6	9	2	1	8	3	4	5	7
5	8	4	6	2	7	3	9	1
7	1	3	4	9	5	6	8	2
1	3	5	9	7	6	8	2	4
8	2	6	5	4	1	7	3	9
9	4	7	8	3	2	5	1	6

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

كلمة السر 435

كلمة السر من 7 حروف: من مؤلفات الأديب اللبناني ميخائيل نعيمة

الاوثان – الارقش – ابو بطة – اكابر – ادب – جد – رواية – سبعون – سيرة – صوت العالم – في مهب الريح – فلسفة – فن – قصة – مرداد – نبذة – نقد – نور – نهج – همس

ح	س	ا	ك	ا	ب	ر	ن	ب	ا
ل	ي	م	ج	ه	ن	و	د	م	ة
ش	ة	ر	ه	ب	ع	ا	ل	ص	ة
ق	ط	ي	ل	ب	م	ا	ق	ا	ي
ر	ب	ر	س	ا	ع	ر	ل	ا	ا
ا	و	و	د	ل	ب	ا	د	ة	و
ل	ب	ن	ا	س	و	ه	ف	ا	ر
ا	ا	ت	ي	ث	ن	س	م	د	د
ر	و	ر	ا	ق	ل	ف	ن	ي	ج
ص	ة	ن	د	ف	ة	ذ	ب	ن	ف

حلول الشبكة السابقة: بلوفديف

عملية حسابية 435

شروط اللعبة: ضع الارقام المناسبة من 1 الى 99 في المربعات الفارغة للوصول الى حل العملية الحسابية

30	٪		X		=	78
٪		X		+		
	X		X		=	98
X		–		٪		
	X		X	2	=	24
=		=		=		
45		31		10		

حلول الشبكة السابقة

19	+	21	٪	8	=	5
X		٪		X		
4	X	7	–	7	=	21
٪		X		٪		
2	X	16	٪	4	=	8
=		=		=		
38		48		14		

شبكة العنكبوت 435

إعداد نعوم مسعود

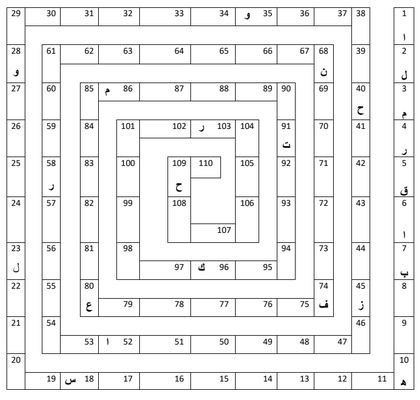

1 – 7 من المناطق المرتفعة في العاصمة الكويتية
6 – 24 شاعر عباسي اصله من خراسان اشتهر بالفرقة والبلاغة
23 – 28 دولة افريقية
30 – 27 دولة افريقية
29 – 37 لاعب كرة قدم اسباني سابق ومدرب حالي
36 – 44 اغنية للسيدة ام كلثوم
43 – 46 برج ايطالي مائل
46 – 52 عاصمة ولاية مين الاميركية
51 – 55 نهر انكليزي
55 – 62 مصمم ازياء لبناني
64 – 61 امزن
64 – 68 لقب نبيل ومرتبة شرف رفيعة في الأنظمة الملكية
66 – 72 لاعب كرة سلة لبناني محترف
71 – 83 لقب حصل عليه لاعب كرة القدم الفرنسي كيليان مبابي في مونديال 2026
83 – 91 موسيقار وفنان لبناني راحل
90 – 96 مؤسس الجمهورية التركية واول رئيس لها
96 – 101 من الحلويات العربية
101 – 110 صحافي لبناني راحل

حل شبكة العنكبوت السابقة

بريتال – الاخضر الابراهيمي – مبنى الجبل – بلاد القديم – مزار شريف – فهد بن عبد العزيز – زين الدين زيدان – دانلوب – بارومتر – تراماواي – ايرلندا – بافوس – فوسفات – اتبلا – لازوردي – ديبوسي – سيدان – انادير

شروط اللعبة

شبكة العنكبوت تتألف من 110 خانات مرقمّة وداخل بعض الخانات تتواجد أحرف تساهم في تسهيل الحل بعد الإجابة على الأسئلة الموجودة أسفل الشبكة. الشبكة تعمل مثل عقارب الساعة إبتداءً من الرقم 1 الى الرقم 110

مشاهير 5138

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

لاعب كرة قدم سوفييتي سابق ومدرب كرة قدم أوكراني حالي. نال جائزة الكرة الذهبية

1+3+9+10+7+8 = الأحصنة ■ 5+7+4+2+11 = آلة لتدخين التبغ ■ 5+6 = هاج الدم

حل الشبكة الماضية: **طنطاوي جوهري**

على الغلاف

حملة تحريض جماعية ضدّ إيران
أميركا تمهّد لتوسيع الحرب

يبدو أن الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، يتّجه نحو شنّ هجوم «واسع النطاق» على إيران، بعدما «أبدت الأخيرة عدم استعدادها للتوصّل إلى اتفاق يتضمن تنازلاً عن برنامجها النووي وضمان حرية الملاحة في مضيق هرمز». وبحسب التسريبات الأميركية، فإن ترامب يشعر بـ«إحباط متزايد إزاء مسار الحرب، ويرغب في رفع كلفتها على إيران». وفي هذا السياق، نقلت «نيويورك تايمز» عن أربعة مصادر مطّلعة أن الرئيس الأميركي عقد، أمس، اجتماعاً مع كبار مستشاريه وعدد من كبار أعضاء إدارته، لبحث «ما إذا كان سيتّجه إلى تصعيد كبير».

وفي خضمّ تواصُل «الاستعدادات لاحتمال اتساع نطاق القتال»، بدأت الماكينة الإعلامية الأميركية والغربية الترويج لمساعٍ جديدة من جانب إيران لتطوير أسلحة نووية، وهو ما يتكامل مع حملة التحريض التي دشّنتها إسرائيل، خلال الأيام الماضية، حول موقع «جبل الفأس» النووي في إيران، والذي تزعم أنه تمّ نقل معدّات حسّاسة إليه، في سياق مساعٍ إيرانية مستمرّة لاستئناف عمليات تخصيب اليورانيوم، وتطوير أسلحة نووية. وفي هذا الإطار، نقلت صحيفة «نيويورك تايمز» عن تقييمات لأجهزة الاستخبارات الأميركية زعمها أن المرشد الأعلى الإيراني الجديد، السيد مجتبى خامنئي، «أكثر استعداداً من والده، علي خامنئي، لمواصلة تطوير الأسلحة النووية». وبحسب مسؤولين تحدّثوا إلى الصحيفة، «لم تستأنف إيران برنامجها النووي، إلا أن القيادة الجديدة تبدو أكثر انفتاحاً على تطوير قدرات نووية متقدّمة».

في موازاة ذلك، أفاد موقع «أكسيوس» بأن الولايات المتحدة والمملكة المتحدة تخطّطان لعقد اجتماع رفيع المستوى في لندن، الأسبوع المقبل، لمناقشة «تشكيل تحالف دولي للمساعدة في حماية حركة الملاحة التجارية في مضيق هرمز». ومن المتوقّع أن يشارك في الاجتماع، الذي لا يزال موعده وجدول أعماله قيد التحديد، وزراء دفاع وقادة عسكريون كبار من دول غربية ودول أخرى في المنطقة. وبحسب دبلوماسيين تحدّثوا إلى الموقع، يُتوقع أن يحضر الاجتماع وزير الحرب الأميركي بيت هيغسيث، ورئيس هيئة الأركان المشتركة الجنرال دان كاين.

وفي المقابل، سُجّلت تحركات دبلوماسية جديدة من جانب الوسطاء، تبدو كمحاولات أخيرة للحؤول دون تصعيد كبير للحرب.

يشعر ترامب بـ«إحباط متزايد إزاء مسار الحرب، ويرغب في رفع كلفتها على إيران» (أرشيف)

وذكرت وسائل إعلام رسمية إيرانية أن وفداً دبلوماسياً عُمانياً زار طهران، أمس، لمناقشة «آليات إدارة حركة السفن في المضيق»، فيما نقلت وكالة «رويترز» عن مصادر قولها إن «باكستان وإيران تستكشفان مساراً لإجراء محادثات جديدة مع الولايات المتحدة». وأشارت ثلاثة مصادر باكستانية، في حديث إلى الوكالة، إلى أن إسلام آباد، التي تؤدي دور الوساطة، «تبحث في مسار لاستئناف المحادثات المتعثّرة بين الولايات المتحدة وإيران بشأن إنهاء الحرب الدائرة بينهما منذ ما يقرب من خمسة أشهر، في إطار مسعىً بدأته الصين». وأضافت المصادر أن محادثات استكشافية جرت خلال زيارة وزير الداخلية الإيراني، إسكندر مؤمني، إلى باكستان هذا الأسبوع، والتي عُدّت الثانية له في غضون عشرة أيام. غير أن المصادر الثلاثة أكدت أن «العقبات التي تعترض إجراء أيّ محادثات مع الولايات المتحدة لا تزال كبيرة».

> ترامب عقد، أمس، اجتماعاً لبحث «ما إذا كان سيتجه إلى تصعيد كبير في المواجهة مع إيران»

وفي الإطار نفسه، اعتبر وزير الخارجية الإيراني، عباس عراقجي، خلال لقائه نظيره الباكستاني، محمد إسحاق دار، أن «انتهاك الولايات المتحدة لتعهّداتها وتمسكها بمطالبها هما سبب الوضع الراهن». كما دان الهجمات الأميركية على البنى التحتية الإيرانية، فيما أعرب دار عن استعداد بلاده للمساعدة في منع تصعيد الأوضاع. كذلك، أعلنت وزارة الخارجية الإيرانية أن عراقجي بحث، خلال اتصال هاتفي مع نظيره العُماني بدر البوسعيدي، «آخر التطورات الإقليمية والأمنية والملاحة البحرية في مضيق هرمز». وأضافت أن الوزيرَين أكدا «أهمية الحفاظ على الأمن البحري»، وناقشا «حلولاً إقليمية لمنع تصعيد التوتر وإرساء السلام والاستقرار في المنطقة».

وفي معرض حديثه عن جهود الوساطة، رأى عراقجي أن المشكلة الحالية بين طهران وواشنطن «لا تتمثّل في غياب الوسطاء»، مشيراً إلى أن باكستان وقطر لا تزالان تؤدّيان دورَيهما. وأضاف أن «الولايات المتحدة تلقت ردّاً حاسماً في كلّ مرّة اختبرت فيها إيران، لكنها لا تزال تُواصل النهج نفسه». وأكد عراقجي أن بلاده «لن تقبل بوقف مؤقت لإطلاق النار»، جازماً أن هذا الخيار «لن يكون مطروحاً ما لم تتحقّق مطالب إيران المتعلّقة بمضيق هرمز». أما ترامب، فجدّد تحذيره روسيا والصين من تزويد إيران بالأسلحة، قائلاً إن إقدامهما على ذلك سيكون «أمراً سيئاً للغاية بالنسبة إليهما». ولفت إلى أن الرئيس الصيني أبلغه، خلال اجتماعهما الأخير، بأنه «لن يمنح إيران أسلحة أو يبيعها إياها تحت أيّ ظرف»، مؤكداً ثقته بحديثه في هذا الشأن. كما قال ترامب إن الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، أبلغه بدوره بأنه لن يبيع أسلحة لإيران، وإن بوتين «يدرك أن الولايات المتحدة لا تبيع الأسلحة لأوكرانيا مباشرة»، بل إلى دول «حلف شمال الأطلسي».

ميدانياً، أفاد التلفزيون الإيراني بأن الجيش الأميركي هاجم ناقلة قادمة من بحر عُمان، بعدما اعتقد أنها تنقل غازاً إيرانياً. وجاء هذا في وقت استمرّ فيه الدفع بالتعزيزات العسكرية الأميركية؛ إذ اتجهت طائرتان للحرب الإلكترونية تابعتان للقوات الجوية الأميركية، من طراز «إل 3 هاريس إي إيه-37 بي كومباس كول»، من بريطانيا نحو جزيرة كريت، في حين سُجّل توجّه مزيد من القوات إلى الشرق الأوسط.

إلى ذلك، كشفت «وول ستريت جورنال»، نقلاً عن مصادر، أن «البحرين والكويت أرسلتا، سراً، طائرات مقاتلة لاستهداف مواقع داخل إيران». وبحسب التقرير، «وقعت الهجمات في وقت مبكر من الشهر الجاري، واستهدفت منشآت لتخزين الصواريخ والطائرات المسيّرة، إلى جانب منشآت عسكرية أخرى». وأضافت الصحيفة أن «الإمارات قدّمت للدولتَين المشاركتَين في الهجمات معلومات استخبارية عن الأهداف».

(الأخبار)

نتنياهو إلى واشنطن للقاء ترامب

من المتوقّع أن يلتقي رئيس الحكومة الإسرائيلية، بنيامين نتنياهو، الثلاثاء المقبل، الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، في واشنطن، في لقاء يكتسب أهمية خاصة، كونه يأتي فيما يقترب ترامب من اتخاذ قرار بشأن المرحلة المقبلة من الحرب على إيران. ونقلت «القناة 12» الإسرائيلية عن مسؤولين أميركيين قولهم إن «ترامب لم يتّخذ بعد قراره بشأن توسيع الهجمات»، في حين أفادت «هيئة البث الإسرائيلية»، نقلاً عن مسؤولين إسرائيليين، بأن احتمال شنّ هجوم إسرائيلي - أميركي واسع على إيران «لا يزال قائماً، بهدف تحسين موقف الولايات المتحدة في المفاوضات». وأشار هؤلاء المسؤولون إلى أن «موقف مجتبى خامنئي متشدّد في المفاوضات»، وأن الأخيرة لن تفضي إلى تفاهمات، وهو ما يضع المنطقة على أعتاب ضربة عسكرية واسعة، قد تشارك فيها إسرائيل، التي تواصل استعداداتها الميدانية واستنفارها الشامل.

وعلى صعيد متصل، عقد نتنياهو، أمس، اجتماعاً لتقييم الوضع الأمني مع كبار المسؤولين الأمنيين. وفي الوقت نفسه، أعلن مكتبه عن لقائه المرتقب مع ترامب في «البيت الأبيض» الأسبوع المقبل، مشيراً إلى أن «اللقاء يبقى خاضعاً لأي تطورات أمنية قد تحدث خلال عطلة نهاية الأسبوع». وبحسب المحلل العسكري في صحيفة «هآرتس»، عاموس هرئيل، فإن «نتنياهو يضغط من أجل مشاركة إسرائيل في الهجوم على إيران، فيما تنتشر أبواقه تلميحات بشأن هجوم إسرائيلي وشيك». وأضاف أن المشهد يكاد يوحي بأنهم «يحاولون إغراء الإيرانيين بالاعتقاد أن إسرائيل حصلت فعلاً على موافقة ترامب لشنّ هجوم، بما يدفعهم إلى مهاجمتها ويوفّر لهم شرعية دولية للرد». ولفت هرئيل إلى أن نتنياهو كشف، في بداية الأسبوع، عن بعض حساباته، إذ سيدرس، في حال استئناف الحرب، إلغاء الانتخابات التمهيدية في «حزب الليكود»، بما يعفيه من «الصداع المرتبط بقائمة انتخابية لا يراها جذابة بما يكفي».

إلى ذلك، وجّهت السفارة الأميركية في القدس المحتلة تحذيراً إلى الأميركيين الموجودين في إسرائيل، دعتهم فيه إلى «البقاء على أهبة الاستعداد لاحتمال إلغاء الرحلات الجوية وإغلاق المجال الجوي، فضلاً عن اضطرابات أخرى في حركة السفر، نظراً إلى تصاعد التوترات في الشرق الأوسط».

(الأخبار)

من «هرمز» إلى «جبل الفأس»: مساعٍ أميركية لتدويل المعركة

طهران - **حسن حيدر**

منذ تجدّد المواجهة بين الولايات المتحدة وإيران، والتي بات مضيق هرمز يمثّل فيها ثقلاً استراتيجياً استثنائياً، تسعى واشنطن إلى صوغ سردية جديدة لهذه المعركة التي تدور حول أحد أهمّ شرايين الطاقة والتجارة العالمية. ووفقاً لتلك السردية، فإن هدف القتال لم يعُد يقتصر على ضمان حرية الملاحة، بل يتجاوز ذلك إلى تفريغ ورقة الضغط الإيرانية من مضمونها الاستراتيجي. إذ يجري العمل على تظهير قرار إيران إغلاق المضيق منفصلاً عن سياق العمليات العسكرية الأميركية، الأمر الذي يسمح بتدويل الكلفة السياسية والاقتصادية للإغلاق، وتصوير طهران مسؤولة عن تهديد الاقتصاد العالمي.

وتنعكس هذه المقاربة أيضاً في الخلاف حول ترتيبات الملاحة بعد وقف إطلاق النار. فواشنطن تتحدّث عن أن البند الخامس ينصّ على إجراءات إيرانية داخل المياه الإقليمية الإيرانية فقط، من دون الاعتراف بحق طهران في فرض ترتيبات تشمل كامل المضيق أو التحكّم بحركة السفن في مساراته الرئيسة. كما تروّج الرواية الأميركية لعدم وجود تفاهم نهائي بين إيران وسلطنة عمان بشأن تنظيم الملاحة، وهو ما ينفي، بحسبها، شرعية أيّ قيود إيرانية على المسار الجنوبي.

في المقابل، تؤكد طهران أنها لن تعود إلى قواعد ما قبل الحرب، مصرّةً على اعتماد المسار الشمالي لعبور السفن، ومتمسّكةً بضرورة التنسيق مع بحرية «الحرس الثوري»، وهو واقع تقول إنه استمرّ طوال مدة وقف إطلاق النار ولم يتغيّر مع تجدّد التصعيد. ومن هنا، يمكن فهم طبيعة الضربات الأميركية التي تركّز بصورة لافتة على الساحل الإيراني الممتدّ من شرق مضيق هرمز، مروراً بسيريك وجاسك، وصولاً إلى تشابهار على سواحل مكران المطلّة على بحر العرب وبحر عمان وشمال المحيط الهندي. فهذه المناطق تمثّل الامتداد البحري الذي يمنح إيران قدرة على مراقبة الضفة الشرقية للمضيق وتأمينها، كما توفّر لها عمقاً عملياتياً خارج مياه الخليج.

ويبدو أن الهدف الأميركي من التصعيد الأخير، يتمثّل في إضعاف الخطّ الدفاعي والهجومي الإيراني، أو ما يُعرف بالنسق الأول، وتقليص قدرة القوات البحرية الإيرانية، ولا سيما الوحدات الصاروخية والمسيّرة على تهديد القطع البحرية الأميركية المنتشرة في بحر عمان وشمال المحيط الهندي. فالبحرية الأميركية تحتاج، إذا ما أرادت فرض حصار بحري فاعل، أو تأمين المسار الجنوبي للمضيق، إلى هامش أوسع للمناورة والاقتراب من السواحل الإيرانية، وهو ما يجعل البنية العسكرية الإيرانية في تلك المنطقة هدفاً دائماً للغارات.

> تسعى طهران إلى ربط ملف «هرمز» بالملف النووي باعتبار أن السيطرة على المضيق تمثّل جزءاً من معادلة الردع الشاملة

على أن الحديث عن أن الضربات الأميركية قد تؤسّس لعملية برية على نقاط في الشواطئ أو الجزر الإيرانية، تستبعده القيادة العسكرية الإيرانية -من دون أن تلغي فرضية تحقّقه-، لاعتبارات ميدانية متعدّدة. فامتلاك إيران ترسانة صاروخية قادرة على استهداف القواعد الأميركية في الضفة الجنوبية للخليج، يعني أن أيّ قوة برية معادية تتمركز على الجزر أو السواحل، ستكون عرضة لضربات دقيقة تنطلق من عمق الأراضي الإيرانية، فضلاً عن احتمالات الانخراط في مواجهات مباشرة مع القوات النظامية، وقوات التعبئة، والانتشار الواسع للقوى العسكرية على امتداد الساحل الجنوبي لإيران.

ومع استمرار الضربات من دون التمكّن من إحداث تحوّل واضح في معادلة السيطرة على المضيق، يبدو أن الخطاب الأميركي بدأ يمنح أولوية متزايدة للملف النووي الإيراني. ومن هنا، يأتي التركيز على منشآت نووية بعينها، ومنها الموقع المعروف باسم جبل «كلنك» أو «الفأس» قرب نطنز، وذلك في سياق تحويل مركز الاهتمام الدولي من معركة المضيق إلى البرنامج النووي، بما يسمح بالتالي بإعادة صياغة أهداف الحرب، وإضفاء بعد استراتيجي أوسع عليها.

وانطلاقاً من هذه المعطيات، تعتبر إيران أن الإدارة الأميركية تعتمد مسارَين في أدائها: الأول، يتمثّل في معركتها من أجل ما تسميه «حماية الملاحة الدولية وأمن المنطقة والعالم»؛ والثاني، يركّز على استمرار مواجهة المشروع النووي الإيراني. ومن جهتها، تسعى طهران إلى ربط الملفَّين معاً، باعتبار أن السيطرة على المضيق تمثّل جزءاً من معادلة الردع الشاملة، وأن أيّ تفاوض لا يمكن أن يتجاهل الوقائع التي فرضتها المواجهة العسكرية الأخيرة.

ومن هنا، لا تبدو الأزمة متجهة نحو تسوية قريبة. فغياب الثقة المتبادلة، وسقوط محاولات التفاهم السابقة، وإصرار كل طرف على فرض شروطه... كلّ ذلك يجعل الخيار الأول بالنسبة إلى الطرفَين، المضيّ في مواجهة مفتوحة لا يزال ميزانها السياسي والعسكري بعيداً عن الاستقرار.

مقابلة

أجراها **رشيد الحداد**

حذّر وكيل وزارة الخارجية في حكومة صنعاء، عبد الله صبري، النظام السعودي من الإقدام على «أيّ تصعيد أو حماقة» ردّاً على الحصار اليمني، مهدّداً بأن السعودية ستواجه، في هذه الحال، «تصعيداً شاملاً وقاسياً وقوياً»، ملمّحاً إلى أن منشآت النفط السعودية قد تكون ضمن بنك أهداف القوات المسلّحة اليمنية. واعتبر صبري، في مقابلة مع «الأخبار»، أنه «لا يمكن فصل التطوّرات المحلية عن المواقف والمُتغيّرات الإقليمية، خاصة أن صنعاء فاعل وشريك رئيس في محور الجهاد والمقاومة»، مضيفاً أنه «إذا كانت هناك مُتغيّرات إقليمية لصالح اليمن وحلفائه في إطار وحدة الساحات، فمن حق صنعاء الاستفادة منها بأسرع وأفضل ما يمكن»

عبدالله صبري
وكيل وزارة الخارجية في حكومة صنعاء

- **من حقّنا الاستفادة من المُتغيّرات الإقليمية بأسرع وأفضل ما يمكن**
- **منشآت السعودية النفطية والاقتصادية لن تكون بمنأى عن الاستهداف**

■ أعلنت صنعاء، مطلع الأسبوع الجاري، فرض حصار بحري وجوي على السعودية، ضمن معادلة «الحصار بالحصار». في أيّ سياق تضعون هذه الخطوة؟ وما الذي تأملون تحقيقه من خلالها؟

الشعب اليمني عانى الكثير بسبب العدوان والحرب الاقتصادية، بل وتحوّلت هذه المعاناة إلى ورقة بيد العدوان، إذ حاول مرتزقته من خلالها استهداف الجبهة الداخلية. ومع إيجابيات الهدنة وخفض التصعيد في كثير من الجوانب، إلّا أن فترة «اللاحرب واللاسلم» التي استمرّت أكثر من أربع سنوات، وتراجُع النظام السعودي خلالها عن تعهّداته ذات الطابع الإنساني والاقتصادي، خلقت نوعاً من السخط الشعبي، والضغوط المستمرّة على الحكومة والقيادة السياسية، ما جعل السيد القائد عبد الملك الحوثي يعلن بنفسه عن مسار التصعيد في إطار تثبيت الحقوق السيادية للجمهورية اليمنية، وإنهاء العدوان والحصار والاحتلال من قبل السعودية، وانتزاع الحقوق المشروعة للشعب اليمني، بدءاً بكسر الحصار الجوي عن مطار صنعاء الدولي. وقد حظي هذا التوجّه بدعم شعبي كبير، عبّرت عنه الحشود الجماهيرية المليونية التي خرجت الأسبوع الماضي في صنعاء ومئات الساحات اليمنية، والتي فوّضت السيد القائد والقوات المسلّحة باتخاذ القرارات التصعيدية العسكرية مهما كانت التبعات أو التداعيات.

■ أليس للخطوة ارتباط بالسياق الإقليمي، وخاصة بعد انهيار اتفاق وقف إطلاق النار بين إيران والولايات المتحدة؟ أم أن الأوضاع المعيشية والاقتصادية في اليمن هي التي مثّلت الدافع الأهمّ من ورائها؟

لا يمكن فصل التطوّرات المحلية عن المواقف والمُتغيّرات الإقليمية، خاصة أن صنعاء فاعل وشريك رئيس في محور الجهاد والمقاومة. ونحن نعتبر أن انتصار الجمهورية الإسلامية هو انتصار لكلّ المحور بما في ذلك اليمن. ومع ذلك، فإن مشاركة اليمن في الحرب الأخيرة كانت مُتدرِّجة ومدروسة، وتعمّدت الفصل بين جبهة الإسناد في مواجهة العدو الأميركي والصهيوني، وجبهة المواجهة مع العدو السعودي، لكن يبدو أن الرياض قرأت هذا الموقف الحكيم بشكل غير واقعي. وبدلاً من أن تسارع إلى تثبيت الأمن والاستقرار في المنطقة، قامت بعدوان جديد على اليمن، باستهداف مطار صنعاء الدولي أخيراً، وإعاقة حق اليمن في كسر الحصار الجوي. وهذا يعني أن الرياض تتوهّم أنها قد تخلط الأوراق من جديد. وهي تتّهم صنعاء زوراً وبهتاناً بتنفيذ الأجندة الإيرانية، كما فعلت مع بداية العدوان على بلادنا في عام 2015، حين زعمت أنها تحارب النفوذ الإيراني في اليمن، ثمّ جاءت الأحداث، وكشفت زيف الذرائع السعودية. وفي النهاية، إذا كانت هناك مُتغيّرات إقليمية لصالح اليمن وحلفائه في إطار «وحدة الساحات»، فمن حق صنعاء الاستفادة منها بأسرع وأفضل ما يمكن، خاصة عندما يرتبط هذا التوظيف بمصالح الشعب وكرامته ومستقبله.

■ ترفض السعودية الاتهامات الموجّهة إليها بفرض حصار على اليمن، وتعدّ ما يجري في هذا البلد انعكاساً لأزمة سياسية داخلية، كيف تقرأون ذلك؟

السعودية تحاول عبثاً التنصّل من مسؤولياتها تجاه العدوان وتبعاته، مستفيدةً من الغطاء الأميركي للعدوان والحصار على اليمن، وتواطؤ ما يُسمّى المجتمع الدولي. وهي بذلك تستنسخ موقف الكيان الصهيوني من جرائم الإبادة في غزة، وتقديم هولوكوست القرن تحت إطار الدفاع المشروع عن النفس. وبالنسبة إلينا، لا يمكن للسعودية النأي بنفسها عن المُساءلة والعقاب، كونها الطرف الرئيس المعتدي على شعبنا، وهي من يتحمّل كامل المسؤولية عن الجرائم والمجازر الوحشية، وعن استهداف البنية التحتية وتدمير مقوّمات الحياة، وعن الحصار وتبعاته الكارثية.

(رشيد حيدر)

> تتحمّل الرياض قبل غيرها مسؤولية إفشال مسارات الحلّ السياسي والإنساني

■ بدأت قوات صنعاء، في إطار تطبيق معادلة «الحصار بالحصار» منع السفن المرتبطة بالسعودية من عبور مضيق باب المندب، هل يمكن أن يتطوّر هذا التصعيد إلى استهداف منشآت النفط السعودية؟

البيان الأخير للقوات المسلحة اليمنية، في 20 تموز الجاري، أعلن حظر الملاحة البحرية على السعودية، وفق معادلة الحصار بالحصار. ودخل هذا الإعلان حيّز التنفيذ، وظهرت مفاعيله الميدانية في الساعات الأولى من إعلان البيان، الذي حذّر من أيّ تصعيد أو حماقة يرتكبها النظام السعودي، وأن السعودية قد تواجه تصعيداً شاملاً وقاسياً وقوياً. ويُفهم من هذا السقف أن منشآت النفط السعودية ضمن بنك أهداف قواتنا المسلحة. وسبق أن حذّرت وزارة الخارجية اليمنية الرياض من أن منشآتها النفطية والاقتصادية لن تكون بمنأى عن الاستهداف في المواجهة المقبلة.

■ ألم تبدِ السعودية استعداداً، لدى ظهور إرهاصات التصعيد من جانب «أنصار الله»، للاستجابة ولو جزئياً لمطالبكم، وتفادي ما آلت إليه الأمور؟

لم تَظهر أيّ مؤشرات على أن النظام السعودي في صدد الاستجابة لحقوق الشعب اليمني الإنسانية والاقتصادية. ومع أن مبعوث الأمم المتحدة إلى اليمن، هانس غروندبرغ، حاول نقل رسائل تطالب الأطراف بخفض التصعيد والتفاوض من جديد على ملفّات سبق التوافق عليها، إلّا أن الوفد الوطني رفض المساومة على هذه الحقوق، وأكد أن على السعودية استحقاقات لمعالجة تداعيات عدوانها الغاشم على اليمن، إن أرادت وقف الصدام العسكري.

■ لكن السلطات الأردنية أعلنت ترتيبات لتسيير رحلات تجارية بين مطار صنعاء ومطار الملكة علياء، ما سبب رفضكم هذه المبادرة؟ وهل تعتقدون أن الخطوة الأردنية مُنسَّقة مُسبقاً مع السعودية في محاولة لامتصاص غضب صنعاء؟

المبادرة الأردنية كانت للاستهلاك الإعلامي، وفي إطار المناكفة مع حكومة صنعاء، ولم تشكّل استجابة عملية للمشكلة الإنسانية. ثمّ إنها لم تواكب سياق الموقف اليمني، الذي أكدت فيه القيادة الثورية والسياسية أنها قد اتخذت قرار كسر الحصار بالمعنى السيادي والإنساني. وكان بالإمكان أن ترى المبادرة الأردنية النور لو أن الحكومة الأردنية خاطبت صنعاء على نحو مباشر، وعرضت مبادرتها بشكل رسمي.

■ قبل بدء التصعيد اليمني ضدّ السعودية، أطلق المبعوث الأممي، هانس غروندبرغ، حراكاً دبلوماسياً نشطاً في محاولة لاحتواء التصعيد. كيف تقرأون الموقف الأممي؟

سبق أن أشرنا إلى فشل الأمم المتحدة ومبعوثيها بخصوص الملف الإنساني والاقتصادي. ولا أذيع سرّاً إن قلت إن بيانات ومواقف المبعوث هانس غروندبرغ وإحاطاته الشهرية إلى مجلس الأمن غير مُنصِفة، وتنحاز في الغالب الأعمّ إلى الرياض وأدواتها. ورغم ذلك، فإن مسألة الحصار، ومرتبات موظفي القطاع العام، والاستفادة من الثروة النفطية، وإنهاء ملف الأسرى، كلّها كانت مُدرجة في «خارطة الطريق» التي وافقت عليها السعودية، ثمّ أحجمت عن التوقيع عليها ومباشرة تنفيذها. وعليه، تتحمّل الرياض قبل غيرها مسؤولية إفشال مسارات الحلّ السياسي والإنساني، وعليها في الوقت نفسه تحمّل تبعات التصعيد العسكري.

على الغلاف

التهديد الإيراني يستنفر الأوروبيين
بريطانيا أكثر انخراطاً في العدوان

لندن - **سعيد محمد**

دخلت المملكة المتحدة في قلب المواجهة المستمرّة بين الولايات المتحدة وإيران، وذلك عقب تحذيرات رسمية أطلقتها المؤسّسات العسكرية الإيرانية من استهداف القواعد الجوّية البريطانية، واتّهامها حكومة لندن بالمشاركة الفاعلة في الاعتداءات الأميركية على الجمهورية الإسلامية. وتستند هذه الاتّهامات إلى رصد طهران تحرّكات جوية متكرّرة لقاذفات استراتيجية أميركية من طراز «بي -1»، انطلاقاً من قاعدة سلاح الجو الملكي في «فيرفورد»، وهو ما دفع «الحرس الثوري» إلى اعتبار تلك القاعدة ومثيلاتها أهدافاً عسكرية مشروعة. وفي مقابل هذا التصعيد الإيراني، الذي تزافق مع إعادة تسليط الضوء على التاريخ السياسي البريطاني المسموم في منطقة غرب آسيا، وتحميل لندن مسؤولية الأزمات الإقليمية المتعاقبة وتنبيه حكومتها إلى خطورة الاستمرار في مساندة العدوان الأميركي، أعلنت الحكومة البريطانية اتّخاذ أعلى درجات الجاهزية الدفاعية لحماية أراضي المملكة والمنشآت العسكرية البريطانية حول العالم.

وبحسب صحف لندن، فقد فعّلت السلطات البريطانية استراتيجية دفاعية متعدّدة الطبقات تعتمد على التكامل بين الأصول البحرية والبرية والجوية التابعة لسلاح الجو الملكي. كما رصدت الحكومة، بصفة عاجلة، الاستثمارات المطلوبة لتطوير قدرات اعتراض الصواريخ والدفاع الجوي القريب والمتوسط، مستفيدةً من التخصيصات البالغة مئات الملايين من الجنيهات الإسترلينية المُقرّة أصلاً لرفع مستوى الجاهزية القتالية والتصدّي للمخاطر الصاروخية أو هجمات الطائرات المُسيّرة. وبالتوازي مع ذلك، تحرّكت الدول الأوروبية والأعضاء في «حلف شمال الأطلسي» لتقديم الدعم لبريطانيا، معتبرةً أن التهديدات الإيرانية الموجّهة إلى الأخيرة تستدعي الردع الجماعي. وفي هذا الإطار، تمّ تعزيز الانتشار البحري والجوي للقوات الفرنسية والأوروبية في شرق البحر الأبيض المتوسط، وذلك لتأمين الفضاء الجوي والممرّات المائية المتاخمة للقواعد العسكرية البريطانية في الجوار. كما تمّ تشديد الرقابة الاستخباراتية المشتركة لمواجهة الأنشطة الهجينة وعمليات التجسّس التي تقودها شبكات - يُدّعى أنها مرتبطة بطهران - على الأراضي الأوروبية.

> تستمرّ الحكومة الجديدة برئاسة اندي بورنهام في المسار الذي كانت سلكته حكومة كير ستارمر السابقة

ويأتي ذلك فيما تستمرّ الحكومة الجديدة برئاسة اندي بورنهام في المسار الذي كانت سلكته حكومة كير ستارمر السابقة، لناحية تنفيذ الاتفاقية الدفاعية المُبرمة مع الولايات المتحدة، والتي تقضي بالسماح للقوات الأميركية باستخدام التسهيلات العسكرية البريطانية لإدارة ما تُسمّى «عمليات الدفاع الجماعي عن الملاحة البحرية» في خطوط الشحن القارية ومضيق هرمز. وتدّعي وزارة الدفاع البريطانية اقتصار تلك التسهيلات على العمليات الدفاعية الرامية إلى تقويض القدرات الصاروخية التي تستهدف السفن التجارية، مع امتناع القوات البريطانية عن الاشتراك المباشر في الهجمات الهجومية داخل العمق الإيراني. وكانت تعرّضت قاعدة «أكروتيري» في قبرص، خلال حرب شباط/ فبراير بين الولايات المتحدة وإيران، لهجوم مُفترض بواسطة طائرة مُسيّرة، في حين جرى الحديث وقتها عن اعتراض هجمات صاروخية بالبستية استهدفت القاعدة البريطانية - الأميركية المشتركة في أرخبيل «دييغو غارسيا» في المحيط الهندي.

ويأتي التصعيد الأخير بين بريطانيا وإيران، ليمثّل ذروة سلسلة من التدابير العدائية التي اتّخذتها المملكة المتحدة، والتي خلّفت تردّياً كبيراً في العلاقات بين الدولتَين. وتتسلّح الحكومة البريطانية، في هذه المواجهة المُحتدمة، بتقارير أمنية وبرلمانية متعاقبة - على رأسها التقرير الشامل للجنة الاستخبارات والأمن الصادر في تموز/ يوليو 2025، والمذكّرة البحثية المُفصّلة لمكتبة مجلس العموم المنشورة في حزيران/ يونيو 2026 - سلّطت الضوء على ما زعمت أنه تنامي التهديدات الجسدية - من جانب جهات محسوبة على إيران - ضدّ المعارضين السياسيين والنقّاد والشخصيات الإعلامية، وعمليات التجسّس على مؤسّسات رسمية ومدنية، والذي يضاعف من المخاطر المحدقة بالأمن القومي البريطاني.

تدّعي بريطانيا حصر التسهيلات الأميركية بـ«عمليات دفاعية» خذ الصواريخ المستهدفة للسفن التجارية (أ ف ب)

وتتويجاً لهذا المسار المتنازَع، بادرت وزارة الخارجية البريطانية إلى سحب طاقمها الدبلوماسي من طهران، وتحويل إدارة عملياتها القنصلية لتنتمّ عن بُعد.

وسبق أن أعلن المدير العام لجهاز الاستخبارات الداخلي (MI5)، كين ماكالوم، أن السلطات رصدت وفكّكت أكثر من عشرين «مخططاً إرهابياً» مزعوماً، ترعاها أجهزة لها ارتباطات بالدولة الإيرانية. وطاولت هذه المخطّطات، وفق ادعاءاته، المؤسّسات الإعلامية الناطقة باللغة الفارسية التي تتّخذ من لندن مقرّاً لها، من مثل شبكة «إيران إنترناشيونال»، والقسم الفارسي في هيئة الإذاعة البريطانية، إضافة إلى استهداف مؤسّسات وأفراد يتبعون للمجتمعَين اليهودي والإسرائيلي داخل البلاد. ورغم نفي طهران الممتكرر لهذه الاتهامات، فإن لندن تزعم أن الإيرانيين يستعينون بشبكات الجريمة المنظّمة لإجراء عمليات الاستطلاع والمراقبة وتنفيذ الاعتداءات مقابل تقديم الدعم المالي واللوجستي، وهو ما يمنح أجهزة الاستخبارات الإيرانية - وفق تلك المزاعم دائماً - فرصة التنصل من التورّط المباشر. وتخشى السلطات البريطانية، بشكل خاص، من قدرات إيران السيبرانية الهجومية التي تتيح لها شنّ حملات استهداف إلكترونية موجّهة ضدّ القطاعات الحيوية والأكاديمية والبحثية والمؤسسات الحكومية، والاستيلاء على بيانات الشخصيات السياسية والدبلوماسية، إضافة إلى اختراق قواعد بيانات قطاعات النقل والملاحة الجوية لتسهيل عمليات تعقّب المعارضين.

وللتعامل مع هذه التهديدات المُفترضة، أقرّت الحكومة البريطانية حزمة مُمتدّة من التدابير التشريعية والدبلوماسية، تضمّنت إدراج إيران ضمن الفئة المُعزّزة لنظام تسجيل النفوذ الأجنبي المعتمد بموجب قانون الأمن القومي، وهو ما يُلزم الأفراد والمؤسسات بالإفصاح الكامل عن أيّ ارتباطات أو أنشطة سياسية وإعلامية تتمّ بتوجيه مباشر من أيّ مؤسسات ترتبط بالدولة الإيرانية. كما طرحت الحكومة، في البرلمان، مشروع قانون الأمن القومي للتهديدات الحكومية لعام 2026، والذي يمنح وزيرة الداخلية صلاحية إصدار إخطارات التهديد ضدّ الأجهزة الاستخباراتية والهيئات التابعة للدول الأجنبية. وتماثل هذه الإخطارات في آثارها القانونية قرارات حظر التنظيمات الإرهابية، ما يتيح تجريم تقديم الدعم أو الترويج لكوادر «الحرس الثوري» والمؤسسات المرتبطة به داخل الأراضي البريطانية. وعلى الصعيد الاقتصادي، وسّعت بريطانيا نطاق عقوباتها ليشمل مئات الشخصيات والكيانات الإيرانية التي اتّهمتها بالتورّط في «انتهاكات حقوق الإنسان» ودعم الأنشطة العسكرية والاستخباراتية ضدّ الدول الحليفة.

تقرير

ضغوط محبّي إسرائيل تحرج ممداني: اعتقال نتنياهو ليس حتمياً

خضر خروبي

أعادت المواقف الصادرة عن عمدة مدينة نيويورك، زهران ممداني، خلال الأسبوع الجاري، والمتعلّقة باهمية التزام بلاده بتنفيذ مذكّرة الاعتقال الدولية الصادرة بحق رئيس حكومة الاحتلال، بنيامين نتنياهو، تلك القضية المُثقلة بواقع التحالف التاريخي» بين واشنطن وتل أبيب من جهة، ومقتضيات التنكّر الأميركي لـ«الشرعية الدولية» وفقاً لحسابات المصلحة من جهة ثانية، إلى قلب السجال السياسي والقانوني في الولايات المتحدة. وتناول ممداني هذا الملفّ الإشكالي - الذي مثّل أحد عناوين حملته الانتخابية -، خلال مناسبتَين خلال أقلّ من أسبوع، إحداهما مقابلة عبر برنامج البودكاست الصوتي التابع لصحيفة «نيويورك تايمز»، بُثّت السبت الماضي، أكّد فيها عزمه تنفيذ تعهّده الانتخابي باعتقال نتنياهو، مشيراً إلى أن الدائرة القانونية في إدارته تناقش بجدّية تنفيذ هذا الإجراء في حال زار رئيس الوزراء الإسرائيلي المدينة لحضور اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة في أيلول/ سبتمبر. وأعرب عن اعتقاده بأن «مكان نتنياهو هو لاهاي، بصفته مجرم حرب»، مضيفاً أن «هذا رأي بنيامين الكثيرون بسبب ما أحدثته أفعال الرجل خلال السنوات العديدة الماضية». مع ذلك، وفي مؤشر إلى دخول مذكّرة الاعتقال حيّز الصراع على الصلاحيات بين السلطات المحلية والحكومة الفيدرالية، أبدى ممداني، في المقابلة نفسها، خشيته من سلوك الأخيرة، منتقداً «وجود رغبة (لدى إدارة ترامب) في بعض الأحيان في سنّ القوانين الخاصة (لمنع محاسبة إسرائيل محلياً ودولياً)، والخروج عن حدود الشرعية».

على أن مواقف ممداني عادت وبدت، بالنسبة إلى البعض، متذبذبة في حسم طبيعة الإجراءات الواجب اتّباعها مع نتنياهو، وتحديداً في ما يخصّ احتمالية اعتقاله من قبل شرطة المدينة. ففي مقطع مُصوَّر على حسابه عبر منصة «إكس» الأربعاء، حصد مشاهدات قياسية تجاوزت 211 مليون مشاهدة، كرّر السياسي الشاب، المحسوب على «التيّار التقدمي» في «الحزب الديمقراطي»، وصاحب السجلّ الحافل في التنديد بـ«الإبادة الجماعية» في غزة، نظرته السلبية تجاه إسرائيل، إلّا أن كلامه حمل نبرة «تراجعية»، كونه أعلن أنه لا يملك السلطة القانونية لاعتقال نتنياهو في حال قدومه إلى نيويورك، شارحاً أن «إدارتي راجعت كل السبل المُتاحة بموجب القانون الساري لتحديد ما إذا كان بإمكان مدينة نيويورك تنفيذ مذكّرة الاعتقال»، قبل أن يعقّب بالقول: «من الواضح أننا لا نملك السلطة القانونية المستقلّة لإنفاذ هذه المذكّرة». ومن ثمّ استدرك بدعوة الحكومة الفيدرالية إلى الانضمام إلى «المحكمة الجنائية الدولية»، والعمل على إنفاذ أمر الأخيرة، بمقتضى صلاحياتها.

إدارة ترامب: هجوم في معرض الدفاع

لم يتأخّر رد الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، على ممداني؛ إذ كتب عبر منصة «تروث سوشيال»: «لن يُعتقل بنيامين نتنياهو، بأيّ شكل من الأشكال، أثناء وجوده في الولايات المتحدة»، مدافعاً عن رئيس الوزراء الإسرائيلي بأن الأخير «يُحارب الجمهورية الإسلامية الإيرانية، التي أمضت السنوات السبع والأربعين الماضية في قتل جنود أميركيين».

> اتّهم وزير الخارجية الأميركي المحكمة بأنها تحضن بدعم شبكة تضمّ منظّمات غير حكومية

ويأتي ذلك في سياق معركة ترامب مع «المحكمة الجنائية الدولية» منذ سني ولايته الأولى، والتي تعود إحدى أبرز جولاتها إلى مطلع شباط الماضي، حين أصدر البيت الأبيض الأمر التنفيذي الرقم 14203، الذي خوّل وزارة الخزانة ووزارة الخارجية فرض عقوبات على مسؤولي المحكمة وموظفيها وأيّ جهة تقدّم لها دعماً، وذلك بدعوى حماية مواطني الولايات المتحدة ومواطني دول حليفة، في مقدّمتها إسرائيل.

وعلى غرار ترامب، هاجم السفير الأميركي لدى الأمم المتحدة، مايك والتز، تعليقات عمدة نيويورك، معتبراً أنها تندرج ضمن ما سمّاه «مسرحية سياسية بحتة». في حين اتّهم وزير الخارجية، ماركو روبيو، «الجنائية الدولية»، بـ«شنّ حرب على بلادنا - لا بالرصاص أو الصواريخ - بل بقوة ما يُسمّى بالقانون الدولي»، علماً أن الولايات المتحدة لم توقّع على «نظام روما الأساسي»، الذي يُلزم الدول المنضوية فيه باعتقال الأشخاص الصادرة في حقّهم مذكّرات توقيف من المحكمة. وحذّر روبيو من أن الأخيرة تسعى إلى توسيع صلاحياتها على حساب سيادة الدول، مؤكداً أن الولايات المتحدة لن تعترف بولايتها القضائية ولن تسمح بمحاكمة أيّ مسؤول أو جندي أميركي أمامها. كما اعتبر روبيو، أول من أمس، في تصريحات من العاصمة الفيليبينية مانيلا، أن «الجنائية الدولية» تضمّ «مجانين ومُختلّين عقلياً».

وقبل نحو عشرة أيام، اتّهم وزير الخارجية الأميركي المحكمة بأنها تحظى بدعم شبكة تضمّ منظّمات غير حكومية، من بينها «هيومن رايتس ووتش»، إضافة إلى حكومات وشخصيات معادية للولايات المتحدة، زعم أنها تعمل على تقويض ما وصفها بـ«السيادة الأميركية»، متحدّثاً عن تدابير تشمل فتح تحقيقات ضدّ الإدارة الأميركية في قضية ترحيل مهاجرين إلى السلفادور، إضافة إلى دعوات إلى إخضاع الضربات الأميركية ضدّ جماعات تصنّفها واشنطن «إرهابية» لتحقيقات بموجب القانون الدولي. وأشار إلى أن الدعوات إلى ملاحقة مسؤولين أميركيين أمام المحكمة ازدادت خلال الولاية الثانية لترامب، معلناً إطلاق حملة دبلوماسية تقوم على مبدأ «سيادة الدول فوق العولمة»، وملوّحاً بأن الولايات المتحدة ستستخدم جميع الأدوات المُتاحة لها، بالتعاون مع حلفائها، من أجل «تفكيك الجنائية الدولية».

اعتبارات قانونية أم ضغوط سياسية؟

إزاء ذلك، ومع ما ظهر أنه تراجع في موقف ممداني، يحتمل محلّلون أن يكون هذا التراجع ناتجاً من اعتبارات سياسية، متّصلة جوهرياً بضغوط اللوبي الصهيوني والجهات الداعمة لإسرائيل في الولايات المتحدة، وخصوصاً في مدينة نيويورك، التي تضمّ جالية يهودية مُعتبرة ونافذة. وفي المقابل، يؤكد خبراء وحقوقيون وجاهة ما ذهب إليه عمدة نيويورك لناحية افتقاره إلى الصلاحيات اللازمة لاعتقال نتنياهو، سواء بسبب اعتراف الولايات المتحدة بالحصانة لزعماء وقادة الحكومات وممثّلي الأمم المتحدة، أو نظراً إلى عدم كون البلاد عضواً في «الجنائية الدولية». وفي هذا الإطار، يؤكد الأستاذ في كلية الحقوق في «جامعة هارفرد»، الكس وايتينغ، وهو مدّع عام سابق في المحكمة ومسؤول سابق في وزارة العدل، عدم وجود آلية بموجب القانون الأميركي تتيح تنفيذ مذكّرات التوقيف الصادرة عن «الجنائية الدولية»، مذكّراً بصدور قانون عام 2002 يُعرف باسم «قانون حماية أفراد الخدمة الأميركية»، يحظر على الولايات المتحدة تسليم أيّ شخص، بغضّ النظر عن جنسيته، إلى المحكمة. وفي الاتجاه نفسه، تشير الأستاذة في «كلية كاردوزو للقانون»، ريبيكا إنجبر، وهي محامية سابقة في وزارة الخارجية الأميركية، إلى أن رؤساء الوزراء الذين لا يزالون في مناصبهم يتمتّعون عموماً بالحصانة من الاعتقال والملاحقة القضائية أمام المحاكم الأميركية، مضيفة أن ممثّلي الدول الأعضاء المُعترف بها في الأمم المتحدة يتمتّعون بتلك الحصانة أثناء تنقّلهم لحضور اجتماعات المنظّمة أو العودة منها.

تقرير

المستوطنون ذراعاً ضاربةً لجيش العدو
بداية حملة عقاب جماعي على نابلس

رام الله - **أحمد العبد**

شهدت الضفة الغربية المحتلّة، أمس، تصعيداً دامياً يَصعب فصله عن المسار الذي بدأ منذ تشرين الأول 2023، والذي تحوّلت معه الضفة إلى ساحة حرب موازية لحرب غزة، اتّخذت صوراً متعدّدة من بينها تكثيف الاحتلال للاعتقالات والاقتحامات والاغتيالات، إلى جانب تصاعد اعتداءات المستوطنين على نحو غير مسبوق. غير أن ما حملته أحداث الساعات الأخيرة في الضفة، من حيث كثافة الأحداث، وتزامنها الجغرافي، بالتوازي مع أكبر اقتحام لـ«المسجد الأقصى» منذ احتلاله عام 1967، يشي بأن المنطقة دخلت طوراً أشدّ خطورة من التصعيد، تسعى فيه إسرائيل إلى تحويل عنف المستوطنين إلى أداة لفرض وقائع جديدة. وكانت خصّصت حكومة الاحتلال، قبل عشرة أيام، 8,5 مليارات شيكل (نحو 2,8 مليار دولار)، لتوسيع مستوطنات الضفة، ضمن اتفاق يشمل بناء 12 ألف وحدة استيطانية ومشاريع بنى تحتية كبرى.

ومثّلت بلدة تل، جنوب غربي نابلس، مسرحاً للحدث الأكثر دموية، حيث هاجمت عصابات من المستوطنين منازل المواطنين في الجهة الشرقية من البلدة، وحاولت إحراق منازلهم وممتلكاتهم. وإذ تصدّى الأهالي للمهاجمين وأجبروهم على الانسحاب، فقد عاد هؤلاء، بعد نحو نصف ساعة، بأعداد أكبر لتنفيذ هجوم أوسع، تطوّر إلى اشتباك بالأيدي. وعندها، تدخّلت قوات الاحتلال إلى جانب المستوطنين، وأطلقت النار عشوائياً على الأهالي، ما أدى إلى استشهاد أربعة شبان من عائلة واحدة - هم شقيقان وابنا عمومتهما (إبراهيم حسين علي رمضان، وجواد حسين علي رمضان، وفاروق عدنان علي رمضان، وعمران أحمد علي رمضان)-، وإصابة أربعة آخرين، ثلاثة منهم بجروح حرجة.

وسرعان ما تدحرجت المواجهات إلى مناطق أخرى، أبرزها قرية فرعتا في محافظة قلقيلية، التي تعرّضت لهجوم من عصابات المستوطنين الذين أطلقوا النار على المواطنين، ما أدى إلى إصابة خمسة من هؤلاء، بعضهم بحالات خطرة. كما هاجم مستوطنون بلدة صرّة الواقعة في محافظة نابلس، وأحرقوا منزلاً واعتدوا على ممتلكات الأهالي، الأمر الذي تسبّب بإصابة ثلاثة فلسطينيين. كذلك، طاولت الاعتداءات مركبات فلسطينية وقرى جنوب نابلس، بينها جيت وعراق بورين، إلى جانب هجمات في محافظات نابلس وطولكرم وجنين وقلقيلية.

وفي سياق أحداث تل، أعلن جيش الاحتلال مقتل جنديَّين إسرائيليين، وهما الرائد يوفال عزرا (27 عاماً)، الذي يشغل منصب «قائد وحدة» في «سلاح المدرعات»، والرقيب أول بنياهو ميليت (32 عاماً)، وهو أحد جنود «فرقة الاستنفار» في مستوطنة «حفات جلعاد»، ومعروف بمشاركته المتكرّرة في الاعتداءات على القرى المجاورة، فضلاً عن إصابة ثلاثة مستوطنين آخرين، أحدهم بجروح حرجة. ومن جهتها، أفادت «إذاعة الجيش»، استناداً إلى التحقيق الأولي، بأن الشهيد فاروق عدنان علي رمضان انتزع سلاح أحد عناصر أمن المستوطنين خلال الاشتباك، ثمّ أطلق النار على القوة المهاجمة.

ورغم أن مقتل هؤلاء جاء خلال تصدّي الأهالي لهجوم استيطاني، حوّلت إسرائيل الحادثة، على الفور، إلى ذريعة لتصعيد عسكري وسياسي واسع. إذ فرض جيش الاحتلال طوقاً على نابلس وبلدة تل، ودفع بكتيبة إضافية وخمس سرايا لتعزيز قواته في الضفة، فيما أصدر رئيس الأركان، إيال زامير، توجيهات بإرسال «تعزيزات واسعة النطاق» إلى «القرى التي تشكل مصدراً للإرهاب»، واعتقال جميع مَن وصفهم بـ«المتورطين» في الحادثة. كذلك، أمر رئيس حكومة الاحتلال، بنيامين نتنياهو، ووزير الأمن، يسرائيل كاتس، بهدم منزل الشهيد الذي انتزع السلاح، ومصادرة الأسلحة من عدد من القرى، وسحب تصاريح العمل من سكانها، في وقت اقتحمت فيه 15 آلية عسكرية إسرائيلية مدينة نابلس، وداهم جنودها «مستشفى نابلس التخصصي»، معتقلَين فلسطينيَّين اثنَين من داخله، أحدهما مصاب، بذريعة مشاركتهما في أحداث تل. وامتدّت العملية الانتقامية أيضاً إلى رام الله، حيث اقتحمت قوات الاحتلال قرية دير جرير، شرقي رام الله.

ولم يقتصر الاستثمار الإسرائيلي للحادثة على ما تقدّم؛ بل طالب وزير الأمن القومي، إيتمار بن غفير، بأن يكون «مصير كلّ قرية وبلدة في الضفة كمصير بيت حانون في غزة»، داعياً إلى تدمير منازل الفلسطينيين من الجو وبواسطة جرافات «D9»، كما طالب وزير المالية، بتسلئيل سموتريتش، بدوره، باتخاذ «إجراءات حازمة ضدّ القرية ومحيطها»، فيما أعلن نتنياهو عقد اجتماع أمني عاجل، متوعّداً باتّخاذ «إجراءات حاسمة ضدّ الإرهابيين ومَن يقف وراءهم». ويستبطن هذا التطابق بين خطاب الوزراء وتوجّهات القيادتَين السياسية والعسكرية، إشارة إلى الرغبة في استغلال الحادثة لتبرير خطوات أوسع، أبرزها التوسع الاستيطاني والهدم.

> يمثّل إلغاء إجازات الجنود مؤشراً عملياتياً على حملة عسكرية طويلة، على غرار ما شهدته مخيمات جنين وطولكرم ونور شمس

وقبل ساعات من أحداث تل، كانت شهدت بلدة بيت فوريك، شرقي نابلس، واقعة مشابهة؛ إذ اضرم مستوطنون النار في أراضي بيت فوريك وسالم وبيت دجن. وحين حاول الأهالي إخماد الحرائق، اندلعت مواجهات أطلق خلالها مستوطن النار على فلسطينيين، فيما أصيب مستوطن آخر بجروح خطرة. وهنا أيضاً، سارعت حكومة الاحتلال إلى توظيف الواقعة؛ إذ أشاد كاتس بـ«القضاء على المنفذين»، مدّعياً انخفاض ما سمّاه «الإرهاب الفلسطيني» بنسبة 80%، فيما أعلن سموتريتش تسريع إقامة مستوطنة «شاليم»، والدفع نحو هدم مبانٍ فلسطينية بذريعة «تعزيز الحوكمة». أمّا في جنين، فاستشهد الشاب يزن صوافطة، الأربعاء، برصاص قوات الاحتلال قرب موقع عسكري أقيم حديثاً في منطقة مستوطنة «غانيم»، التي تسعى حكومة الاحتلال إلى إعادة بنائها. ووصفت إسرائيل هذه الحادثة الأخيرة بأنها عملية طعن، من دون وجود تأكيد فلسطيني مستقلّ لرواياتها.

ورغم تباين تفاصيل تلك الوقائع المتلاحقة، فإنها تتقاطع عند نقطة واحدة، هي أن المستوطنين يبادرون إلى الاعتداء على الأراضي الفلسطينية وأهاليها أو التوغّل فيها، فيما يوفّر جيش الاحتلال الغطاء لهم، ثم يُحوّل ردّ الفلسطينيين، دفاعاً عن النفس أو الأرض أو المنازل، إلى «عملية إرهابية»، تستثمر لتبرير العقاب الجماعي. ومنذ بداية عام 2026، ارتفع عدد الشهداء في الضفة إلى 86 فلسطينياً، بينهم 21 استشهدوا برصاص المستوطنين، بحسب وزارة الصحة الفلسطينية.

ويكتسب التصعيد الميداني بعداً أشدّ خطورة حين يُقرأ بالتوازي مع اقتحام «المسجد الأقصى»، الذي دخله 4288 مستوطناً في يوم واحد، بمناسبة ما يسمّى «ذكرى خراب الهيكل»، في أعلى رقم يُسجّل في هذه المناسبة. وجاء الاقتحام وسط إغلاق شبه كامل للمسجد أمام المصلّين، وحصر دخول الفلسطينيين من العمر، في تجاوزوا الثمانين من العمر، في مقابل السماح للمستوطنين بتأدية طقوس تلمودية علنية بحماية الشرطة، وبمشاركة بن غفير وعدد من أعضاء «الكنيست».

وينبئ هذا الاقتحام بانتقال إسرائيل من سياسة «إدارة الصراع» إلى توظيف «عقيدة الخلاص» لحسم السيادة على «الأقصى»، وتسريع عملية إعادة تشكيل مستقبل الضفة والقدس، لا سيما مع تصريحات كاتس عن «الحسم»، وربط التوسّع الاستيطاني بمفهوم «الأمن القومي الإسرائيلي». وفي مؤشر على حجم التصعيد المرتقب، أعلن جيش الاحتلال أن قواته تستعدّ لتنفيذ «نشاط عملياتي واسع» في الضفة، وأنه قرّر إلغاء إجازات الجنود وتعزيز القوات المنتشرة في مختلف أنحاء المنطقة.

ويمثّل إلغاء إجازات الجنود مؤشراً عملياتياً على أن القيادة العسكرية لا تخطّط لتحرك محدود ينتهي سريعاً، إنما لحملة قد تستمرّ مدة أطول، على غرار ما شهدته مخيمات جنين وطولكرم ونور شمس، حيث تحوّلت «العمليات النوعية» إلى اجتياحات امتدّت أسابيع وأشهراً. أما تعزيز القوات في «مختلف أنحاء الضفة»، وليس في نابلس وحدها، فيشي بأن التخطيط العسكري لا يقتصر على معاقبة تل ومحيطها، بل يستبق احتمال اتّساع رقعة المواجهة إلى محافظات أخرى، لا سيما في ظلّ الاحتقان المتصاعد الذي أنتجته اعتداءات أمس.

«الإسنادان» بين الفعل وردّ الفعل

سعد الله مزرعاني *

لعمليتي «الإسناد» اللتين خاضتهما «المقاومة الإسلامية» في لبنان، دعماً لغزة ولطهران ضد العدوان الإسرائيلي على الأولى، والعدوان الأميركي الصهيوني على الثانية، موقع مهم في مُجريات الأحداث. يكتسب ذلك، في لبنان، أهمية خاصة، نظراً إلى أن الفعل انطلق منه، وبالتالي، ترك الأثر الأكبر فيه. يتعاظم السجال، بهذا الشأن، خصوصاً بعد الثاني من آذار الماضي، حين سارعت قيادة المقاومة إلى إطلاق ستة صواريخ إيذاناً ببدء مرحلة جديدة كانت المقاومة تعدّ لها وتحذّر، ضد العدوان الإسرائيلي على لبنان عموماً والمقاومة خصوصاً، إلى كونه تضامناً مع القيادة الإيرانية ضد العدوان الأميركي الإسرائيلي على إيران.

تواصل العدوان على لبنان، رغم «اتفاق وقف الأعمال العدائية» الذي بادر إلى إعلانه الرئيس الأميركي السابق، وتمّت الموافقة عليه رسمياً من قبل الطرفين اللبناني (بما فيه المقاومة) والإسرائيلي، برعاية ورقابة ووساطة أميركية حصرية! لم يمضِ وقت طويل حتى تبيَّن أن الاتفاق المذكور قد اقترن باتفاق غير مُعلن بين واشنطن وتل أبيب، لإدارة حرب من طرف واحد: لتمكين العدو الإسرائيلي من تحقيق ما عجز عن تحقيقه في الميدان نتيجة الصمود الأسطوري للمقاومة طيلة 66 يوماً.

لم يكن الإسنادان المذكوران أمرين عاديين في مجريات الصراع. هما شكّلا اختباراً لمدى التطابق بين القول والفعل عندما يتعلّق الأمر بممارسة واجب قومي أو وطني. ما كان يحصل غالباً، في حالات مشابهة، هو بعض الاحتجاجات الشعبية المراقبة. أمّا موقف السلطات المعنية فكان مزيجاً من التجاهل أو الاستنكار الكلامي لرفع العتب! إسناد غزة، من قبل «حزب الله»، مثلاً، في 8 أكتوبر 2023، شكّل نمطاً جديداً وجدّياً في المشاركة، فضلاً عن أنه تميّز بالمبادرة في بدء المعركة، الأمر الذي كان يحتكره العدو الإسرائيلي باستثناء حرب 1973. اكتسبت حرب «الإسناد» ضرورتها وشرعيتها من وحدة الصراع ومن كون القضية الفلسطينية هي جوهره. كذلك شكّلت التزاماً عملياً أضفى على «محور المقاومة» مصداقية لم تنل منها شكوك المعارضين والمتضرّرين. إلى ذلك فقد منح «الإسناد» (ما وسعه ذلك في ظروف شابها نقص في التنسيق) استفراد العدو بالمقاومة الفلسطينية، بعد الدعم الاستعماري الغربي الهائل للعدو، وفي ظل صمت وتآمر معظم النظام الرسمي العربي.

تميّز قرارا «الإسناد» والمضي فيهما، رغم الضغوط والإغراءات والخسائر الجسيمة، بطابع أخلاقي ومبدئي. أمّا في المضمون، فكانا ثمرة إدراك عميق لوحدة المصير حيال صراع خطير ومُخطّط شامل يستهدف فلسطين وشعبها والمصير العربي (مشروع «إسرائيل الكبرى»)، كما يستهدف المنطقة عموماً («الشرق الأوسط الكبير» الأميركي). هذا يستعيد، إلى درجة ملحوظة، القرار التاريخي الذي اتخذته القوى الوطنية اللبنانية في التصدّي السياسي وغير السياسي للحلقة اللبنانية في مخطط تصفية المقاومة والقضية الفلسطينيتين بعد مجازر «أيلول الأسود» عام 1970 في الأردن. لقد وصلت أطراف في «الحركة الوطنية اللبنانية» هذا النهج عبر المبادرة إلى إطلاق مقاومة شاملة ضد العدو المحتل عام 1982. وهي خطوة جريئة ومُحفِّزة (في ظروف تفوق العدو وفي مجرى حرب أهلية)، شاركت فيها قوى عديدة وتوّجت بالتحرير شبه الكامل عام 2000. يمكن ذكر حلقات أخرى، في ظروف وصيغ مختلفة نسبياً، كدور القيادة الناصرية في حرب تحرير الجزائر.

في الحلقات المذكورة وسواها، لا يتخذ الموقف استناداً إلى التكلفة أو ضمان الانتصار. إنه ينطلق من الواجب والإرادة، ومن ثم من إعداد العدّة عبر مسار لن يكون قصيراً أو سهلاً! ما ذكرته من أمثلة كان الأبرز في تجسيد مفهوم «قومية المعركة»، أو الطابع التحرري والمصيري لها. هذا ما يجدر أن تمارسه القوى الثورية والطليعية الحقيقية في مراحل التحرر الوطني. في السياق، وللإنصاف ينبغي القول إن القرارات التي أشرنا إليها وبعضاً سواها، قد صدرت عن خلفية إيديولوجية أو فكرية واعية ومصمّمة ومسؤولة. بالنسبة إلى الشيوعيين اللبنانيين، كان في أساس موقفهم من المقاومة إعادة الاعتبار لتوجهات ولمواقف طليعية وصحيحة، دافع عنها ودفع ثمنها القائد الشهيد الفذّ فرج الله الحلو. حذّر فرج الله من خطر المشروع الصهيوني. رفض «قرار التقسيم» بوصفه قراراً شرعن الاغتصاب ودشّن بدايات إنشاء الكيان الصهيوني: أداةً استعمارية ونواةً لـ«إسرائيل الكبرى»!

للمواطن العادي أن يمارس ردود فعله الشخصية على هذا الموقف أو الخبار أو ذاك، استناداً إلى انعكاساته المباشرة وعلى حياته ومصالحه ويومياته... هذا الأمر لا ينبغي أن يسري على القوى السياسية التي تحمل مشاريع تغيير ومواجهة جذرية وتستلهم إيديولوجية ثورية في صياغة الخطط وتوفير الأطر والإمكانات والتحالفات الضرورية لذلك.

لقد تبنّى المؤتمر الثاني (1968)، التاريخي في مسيرة الحزب الشيوعي اللبناني، استراتيجية ثورية متكاملة أثمرت نجاحات ذات أبعاد وطنية وإقليمية وأممية. لكن هذا المسار تعثّر بعد انهيار الاتحاد السوفياتي ولأسباب متعددة أخرى. تباعاً جرى التنكّر لمعظم خياراته الاستراتيجية. انعكس ذلك بشكل سلبي على دور الحزب، وبالتداعي على دور قوى وطنية واسعة عانت من غياب المبادرات الجبهوية الضرورية في نطاق مسار تحرر وطني ثوري فيما الأزمات والتحدّيات تتلاحق وتتفاقم بشكل مُطّرد.

في السياق، لا يقاس «الإسناد» الذي يستسهل بعض ذوي التجربة اليسارية السابقة تبنّي مواقف يمينية تقليدية رائجة منه، بكلفته بل بصحة موقعه من عدمها في الصراع. لا يقاس، أيضاً، بالهجة التي بادرت إلى ممارسته، بل بموقع الفعل الإسنادي في مجرى الصراع مع القوى الاستعمارية ومخططاتها وأدواتها. لقد تعاطفت غالبية شعوب العالم مع قضية الشعب الفلسطيني العادلة، ولّدت حرب الإبادة الصهيونية المدعومة من الغرب الاستعماري، تعاطفاً وتحوّلات غير مسبوقة في أعتى الإمبراطوريات الاستعمارية. هل نستكثر على من بادروا وقاوموا مجرد التقدير لتضحياتهم والاعتراف بأنهم أقدموا حين تخلّف آخرون؟!

* كاتب وسياسي لبناني

الكاميكاز الثوري
كوزو أوكوموتو... من هيروشيما إلى فلسطين

مروان عبد العال *

لماذا جاء كوزو أوكوموتو ليحارب معنا؟ ما الذي يدفع شابًا ياباني، وُلد على بعد آلاف الكيلومترات من أجل إسناد فلسطين؟ ليس هذا السؤال مجرد فضول تاريخي، بل هو سؤالٌ عن معنى العدالة، وعن حدود الانتماء، وعن قدرة الإنسان على أن يجعل من قضية الآخرين قضيته الشخصية. فالإجابة لا تكمن في سيرة رجل واحد، بل في سيرة جيل كامل آمن بأن الحرية لا تعرف الحدود، وأن الظلم، أينما وقع، يستدعي مقاومته.

لم يكن كوزو أوكوموتو مجرد مقاتل ياباني حمل السلاح في فلسطين، بل كان نجسيدًا لفكرة وُلدت من رماد هيروشيما وناغازاكي، ومن ذاكرة شعب عرف الإبادة النووية، فخرج من بين أنقاضها جيلٌ رفض أن تتحول مأساة بلاده إلى ذكرى، وأراد أن يجعل منها موقفًا أخلاقيًا في مواجهة الظلم أينما كان. لقد كان ابن سؤال ظل يؤرق الشباب الياباني بعد الحرب العالمية الثانية: كيف يمكن لشعب عرف معنى الإبادة أن يقف متفرجًا على إبادة شعب آخر؟

من هذا السؤال خرجت تجربة الجيش الأحمر الياباني، التي لم تر في الثورة قضية وطن واحد، بل قضية الإنسان حيثما كان. لم يعد الوطن حدودًا جغرافية، بل موقفًا أخلاقيًا، ولم تعد التضحية دفاعًا عن إمبراطور كما فعل طيارو الكاميكاز في الحرب العالمية الثانية، وإنما دفاعًا عن المظلومين أينما كانوا. لقد ورث هؤلاء من الكاميكاز روح الإقدام والاستعداد للفداء، لكنهم غيّروا وجهتها؛ فلم تعد الطائرة تنقضّ دفاعًا عن الإمبراطورية، بل أصبح الجسد نفسه يعبر القارات ليقاتل من أجل قضية يؤمن بعدالتها، في مواجهة ما كانوا يرونه منظومةً عالمية للهيمنة والاستعمار والإمبريالية.

وهكذا أصبح كوزو أوكوموتو أكثر من شخص؛ صار رمزًا لجيل آمن بأن العدالة لا تُختزل في الهوية القومية، وأن التضامن الأممي ليس شعارًا سياسيًا، بل هو فعل وجودي يربط بين هيروشيما وفلسطين، وبين ذاكرة الضحية وواجب الانحياز إلى كل مظلوم. ولم يكن وصوله إلى فلسطين وليد صدفة أو مغامرة فردية، بل جاء ضمن رؤية صاغها «الخال» الدكتور وديع حداد قائد العمليات الخارجية في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، الذي أدرك أن فلسطين لا تستطيع أن تواجه المشروع الصهيوني والإمبريالية العالمية وهي معزولة عن حركات التحرر في العالم. رأى حداد أن القضية الفلسطينية يجب أن تتحول إلى قضية أممية، وأن تصبح نقطة التقاء كل الثوار الذين يؤمنون بأن الحرية لا تتجزأ، وأن الظلم، مهما اختلفت وجوهه، هو عدو الإنسانية كلها.

هكذا بدأ الطريق الذي قاد كوزو ورفاقه إلى فلسطين، لكنه لم يكن طريقًا مباشرًا، بل رحلة عبرت محطاتٍ متعددة، بدأت في بيروت، ثم امتدّت إلى بعلبك، ومنها إلى باريس، ثم روما، قبل أن تنتهي في مطار اللد.

كانت البداية في بيروت، حين وصل ياماداً، المُكلّف بالمشاركة في العملية، قبل أن يتعرض لوعكة بعد أن غرق قرب صخرة الروشة، فتفقده المجموعة كعنصر قادر على تنفيذ المهمة. عندها وقع الاختيار على كوزو أوكوموتو، الشاب القادم من مدينة كوماموتو في جزيرة كيوشو، ليحل مكانه، وكان القدر كان يعيد ترتيب الأسماء في واحدة من أكثر العمليات إثارةً للجدل في تاريخ الصراع العربي الصهيوني.

وصل كوزو إلى مطار بيروت في ربيع عام 1972. حمل ورقة صغيرة كُتب عليها عنوان الفندق باللغة

> حين ساله المحقّق الإسرائيلي: «من أنتم؟» أجاب بهدوء: «رجال عملية باتريك أرغويللو». وحين ساله عن الهدف، قال: «انتقاما لتدمير الطائرات في مطار بيروت... مطار مقابل مطار».

العربية، وسلّمها لسائق سيارة الأجرة. لم يفهم شيئًا من حديث السائق الذي أخذ يمازحه بكلمات مثل «بروس لي» و«كونغ فو»، بينما كان يكتفي بابتسامة هادئة وهزّة رأس مُهذّبة. كان المشهد بسيطًا، لكنه يكشف طبيعة الرجل؛ قليل الكلام، شديد التواضع، يواجه العالم بابتسامة أكثر مما يواجهه بالكلمات.

وفي صباح اليوم التالي بدأت المرحلة الثانية من الرحلة. حمل حقيبته وسار نحو مقهى شاتيلا على شاطئ بيروت، حيث لم يكن في انتظاره شخص يعرفه، بل إشارة مُتفق عليها. طرق النادل ثلاث مرات على كأس الماء، فردّ كوزو بطريقتين. دقائق قليلة، ثم انطلقت السيارة نحو بعلبك، ومنها إلى جرود يونين، حيث أمضى شهرين في التدريب على السلاح والرماية، فيما كان رفيقاه ينتظرانه في أوروبا.

وحين انتهت مرحلة التدريب، بدأت المرحلة الثالثة. غادر كوزو لبنان إلى باريس، حيث التقى أفراد المجموعة، وهناك اكتملت صورة المهمة في أذهانهم، لا بوصفها فكرة عامة، بل بوصفها خطةً مُحدّدة لها موعد ومسار. ومن باريس بدأت الرحلة الأخيرة عبر القطارات الأوروبية حتى روما، كانوا يتحركون بهدوء سياح عاديين، بينما كانت كل خطوة تقرّبهم من لحظة لم يكن أحد منهم يتوقّع أن ينجو منها.

وحين انتهت الذخيرة، فجّر رفيقاه نفسيهما بالقنبلة الأخيرة كما كان مُخططاً. أمّا كوزو، فقد حدث ما لم يكن يتوقعه أحد؛ قنبلته لم تنفجر.

في تلك اللحظة لم يشعر بأنه نجا، بل شعر بأنه أخفق. فالرجل الذي تربّى على أن الكاميكاز لا يقع أسيرًا في يد عدوه، وجد نفسه حيًا، بينما مضى رفيقاه إلى النهاية التي خرجوا جميعًا من أجلها.

حين ساله المحقّق الإسرائيلي: «من أنتم؟» أجاب بهدوء: «رجال عملية باتريك أرغويللو». وحين ساله عن الهدف، قال: «انتقاما لتدمير الطائرات في مطار بيروت... مطار مقابل مطار».

لم يكن يحاول تبرير فعلته، بل كان يجيب كما يجيب رجل يعتقد أنه أدّى المهمة التي جاء من أجلها. في سجن الرملة، قضى سنوات طويلة في العزل، مُقيّد اليدين والرجلين، حتى فقد الإحساس بالزمن. وحين مثل أمام المحكمة، قال عبارته الشهيرة: «إذا مت فساتحول إلى نجم في السماء». لم تكن استعارة شعرية، بل تعبيرًا عن يقين المقاتل الذي يرى الشهادة اكتمالًا للعهد.

خرج لاحقًا في صفقة تبادل الأسرى، لكنه لم يتحرر من أسره الداخلي. كان يعيش وكان الحياة نفسها أصبحت عبئًا عليه. لم يكن يندب سنوات السجن، بل كان يندب تلك القنبلة التي لم تنفجر. كان يشعر أن بقاءه حيًا حرمه من مشاركة رفيقيه المصير الذي اختاروه معًا.

ولذلك ظل، حتى سنواته الأخيرة في لبنان، يحمل شيئًا من روح الساموراي، وصمت الكاميكاز، ووفاء المناضل الأممي. كان يرى في فلسطين قضية عادلة تستحق أن يُبذل العمر من أجلها، لا لأنها قضية الفلسطينيين وحدهم، بل لأنها قضية الحرية نفسها. وفي آخر ظهور له أمام النصب الرمزي لرفاقه اليابانيين في مقبرة شهداء شاتيلا، ألقى كلمة بلغته اليابانية، ثم ختمها بالعربية التي أحبها أكثر مما أتقنها:

«أنا كوزو... سابقى معكم أحارب ضد إسرائيل».

ربما سيظل الناس يختلفون حول العملية، وحول خيارات تلك المرحلة وأدواتها، لكنهم لن يختلفوا على حقيقة واحدة: أن كوزو أوكوموتو كان أحد أكثر نماذج التضامن الأممي ندرة في القرن العشرين؛ رجلٌ عبر نصف العالم ليقاتل من أجل شعب لم يولد فيه، وآمن أن العدالة لا تُقاس بالهوية، بل بالانحياز إلى المظلوم.

لقد رحل الجسد، لكن الفكرة بقيت. بقيت صورة ذلك الشاب الذي خرج من ذاكرة هيروشيما ليصل إلى فلسطين، لا ليقاتل من أجل وطنه، بل من أجل وطن للعدالة يتسع للإنسان جميعًا. كان آخر الكاميكاز، لكن على نحو مختلف؛ فقد استبدل الولاء للإمبراطورية بالولاء للحرية، وجعل من جسده جسرًا بين هيروشيما وفلسطين، وبين مأساة اليابان ونضال الشعوب المستعمرة.

وربما لهذا السبب ظل يحمل، حتى آخر يوم في حياته، حسرة القنبلة التي لم تنفجر، لأنها بالنسبة إليه لم تكن مجرد قنبلة، بل العهد الذي لم يكتمل. عاش وفيًا لرفيقيه، وفيًا لوعده، وفيًا لفلسطين، حتى أسلم روحه في لبنان، بعد أن كان قد وهب شبابه لقضية لم يولد فيها، لكنه اختار أن يولد من جديد داخلها.

وهكذا، إذا عاد السؤال الذي بدأنا به: لماذا جاء كوزو أوكوموتو ليحارب معنا؟ فلأن بعض البشر لا يقيسون أوطانهم بحدود الخرائط، بل بحدود العدالة. جاء لأن هيروشيما لم تكن بالنسبة إليه ذكرى قومية، بل جرحًا إنسانيًا علّمه أن الإبادة واحدة، وأن الوقوف مع المظلوم واجبٌ لا تحدّه اللغة ولا الجنسية. وجاء لأن فلسطين رآها امتحانًا أخلاقيًا لإنسانية العالم، فاختار أن يكون في صفّها، لا طلبًا لمجد شخصي، بل وفاءً لفكرة آمن بها حتى النهاية.

واليوم، وقد رحل الجسد في لبنان، بعد أن وهب حياته لفلسطين، يمكن القول إن كوزو أوكوموتو أكمل رحلته الأخيرة. لقد التحق أخيرًا برفيقيه اللذين سبقاه في مطار اللد، والتحق بكل أولئك الذين آمنوا أن الحرية تستحق أن يُدفع ثمنها من العمر. ربما انتهت حياة الرجل، لكن الرحلة التي بدأت من رماد هيروشيما، وعبرت بيروت وبعلبك وروما وفلسطين، لن تنتهي برحيله، لأنها أصبحت جزءًا من ذاكرة التضامن الأممي.

وداعًا رفيق كوزو. لقد حملت حسرة القنبلة التي لم تنفجر أكثر من نصف قرن، وكأنك كنت تؤجّل موعد اللقاء برفيقيك. وها هو الموعد قد حان. نم قرير العين؛ فقد أسلمت روحك في لبنان، كما أردت أن تهب حياتك لفلسطين، والتحقت أخيرًا برفاقك الشهداء. وأبلغ سلامنا إلى سميح، ولا تنسَ البقية وسيبقى اسمك شاهدًا على أن الإنسان يستطيع أن يولد مرتين: مرةً في وطنه، ومرةً في القضية التي اختارها بإرادته، وأن الطريق من هيروشيما إلى فلسطين لم يكن يومًا طريقًا على الخريطة، بل طريقًا في الضمير الإنساني.

* كاتب فلسطيني

فلسطين تُشيّع بطَلها الياباني في بيروت

شيّعت فلسطين في شوارع الضاحية الجنوبية لبيروت أمس، المناضل الأممي كوزو أوكوموتو (أحمد الياباني). وحمل المشيّعون جثمانه في الشوارع التي عاش فيها سنواته الأخيرة، قبل أن يُصلى على جثمانه في مسجد الخاشقجي، ويُوارى الثرى في جبانة الثورة في محلة شاتيلا، إلى جانب من سبقه من المناضلين والفدائيين. يُذكر أن أوكوموتو هو واحد من ثلاثة أبطال نفّذوا عملية مطار «اللد» في أيار 1972 في الأراضي المحتلة، حيث استشهد رفيقاه ياسودا ياسويوكي وأوكودا تسويوشي، واعتقل هو في السجون الإسرائيلية، وحُكم عليه بالسجن ثلاثة مؤبدات. وبعدما قضى منها 13 عاماً، تم تحريره في صفقة تبادل للأسرى مع المقاومة الفلسطينية في العام 1985. غير أن معاناته لم تنتهِ، نتيجة الملاحقة القضائية، التي استمرت حتى منحه لبنان اللجوء السياسي في العام 2000. (الأخبار)

(مروان بو حيدر)

رفيقنا العزيز

فوساكو شيغينوبو *

ببالغ الحزن والأسى، ننعى وفاة رفيقنا العزيز كوزو أوكوموتو، الذي رحل بعد صراع مع المرض. وإذ نستذكر مسيرته اليوم، يختلط الحزن العميق بمرارة لا تفارقنا. فإلى جانب ألم فقدان رفيق أحببناه، يعتصر قلوبنا العجز عن الوقوف إلى جانبه في أيامه الأخيرة، بعدما فرّقتنا عنه سلطة القمع وحالت بيننا وبينه حتى لحظة رحيله.

كان الرفيق كوزو أوكوموتو (مواليد كانون الأول/ ديسمبر 1943) من أوائل المتضامنين والمتطوّعين اليابانيين الذين لبّوا نداء القضية الفلسطينية. غادر اليابان في شباط/فبراير 1972، وفي 30 أيار/ مايو من العام نفسه شارك، بصفته أحد المتطوّعين اليابانيين، في عملية الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في مطار اللد. وقع في الأسر لدى إسرائيل، وحُكم عليه بالسجن المؤبّد. وفي عام 1985، بعد أن قضى ثلاث عشرة سنة في سجون الاحتلال مع التعذيب اليومي، أُفرج عنه في إطار صفقة لتبادل الأسرى بوساطة اللجنة الدولية للصليب الأحمر، وذلك بفضل جهود رفاقنا في الحركة التحررية الفلسطينية، ليعود إلى رفاقه.

ورغم الإعاقات الدائمة التي خلّفها التعذيب النفسي والجسدي الذي تعرّض له خلال سنوات أسره في إسرائيل، استطاع أن يستعيد عافيته تدريجياً بفضل تضامن رفاقه الفلسطينيين وفي الجيش الأحمر الياباني، وواصل حياته ونشاطه بدعم ومحبة أصدقائه في فلسطين ولبنان.

وبعد انهيار الاتحاد السوفياتي والمنظومة الاشتراكية في أوروبا الشرقية وما رافقه من تحوّلات سياسية، تعرّض الجيش الأحمر الياباني عام 1997 لحملة اعتقالات في لبنان تحت ضغط من الحكومتين الأميركية واليابانية. غير أن الإضرابات والتظاهرات التي نظّمها اللبنانيون والفلسطينيون تضامناً مع الجيش الأحمر الياباني أثمرت منح الرفيق أوكاموتو حق اللجوء السياسي. فأقرّت الحكومة اللبنانية في نيسان/ أبريل 2000 بحقّه في الإقامة، ليصبح أول لاجئ سياسي تعترف به الدولة اللبنانية رسمياً. ومنذ ذلك الحين عاش حياة هادئة في لبنان بين أصدقائه الفلسطينيين واللبنانيين.

وظلّت الحكومة اليابانية تطالب بتسليمه، مستندة إلى قضية مطار اللد عام 1972، ومتجاهلةً مبدأ عدم جواز المحاكمة على الجرم ذاته مرتين بحسب القانون الدولي، فضلاً عن أن الإفراج عنه جاء في إطار صفقة تبادل الأسرى بموجب اتفاقيات جنيف. ورغم استعادته حريته بموجب صفقة التبادل، لم يُتح للرفيق أوكاموتو أن يعود إلى اليابان. واستمرّت مذكرة التوقيف في حرمانه من حريته. وإزاء هذا الاضطهاد المتواصل، اختار الرفيق أوكاموتو أن يبقى في لبنان، بين الشعبين الفلسطيني واللبناني.

وفي عام 1972، وبينما كان مع رفيقيه اليابانيين يتأمّلون السماء المُرصّعة بالنجوم فوق معابد بعلبك، قال المقاتلون الذين سيشاركون لاحقاً في عملية اللد: «إذا استشهدنا في النضال، فسنغدو نجوماً في نجوم الأوريون». وقد استذكر أوكاموتو هذه الكلمات لاحقاً أمام المحكمة العسكرية الإسرائيلية، مؤكداً عهده بأن يبقى، روحاً وموقفاً، مقاتلاً إلى جانب كل من يقاوم الاحتلال الإسرائيلي من أجل تحرير فلسطين.

واليوم، وقد تجاوزت روحه الأحزان، فلا شك أنها التحقت برفاقه الذين سبقوه.

وفي وقت تتواصل فيه الإبادة الجماعية في غزة والضفة الغربية المحتلة، إلى جانب استمرار احتلال الأراضي العربية والعدوان على إيران، يواصل الكيان الصهيوني جرائمه بلا هوادة. ومع ذلك، فإننا نؤمن بأن النصر سيكون في نهاية المطاف من نصيب الشعب الفلسطيني، وأن رفاقنا الراحلين يستشرفون ذلك اليوم.

إنّ مقاومة الشعب الفلسطيني للاحتلال تُلهم الأحرار في كل مكان، وترتبط نضال الفلسطينيين بنضالات الشعوب كافّة في مواجهة الظلم والتمييز والاستعمار، كما تمنح القوة لنضالاتنا حيثما كنا. وبعيد رحيل الرفيق أوكاموتو ألجأ الآن إلى مرحلة من الأممية الثورية جسّدها مقاتلو اللد.

أيها الرفيق أوكاموتو، ارقد بسلام.

إلى أصدقائنا في فلسطين وفي مختلف أنحاء الوطن العربي، نتوجّه إليكم بخالص الشكر على ما أحطتم به الرفيق أوكاموتو من رعاية وتضامن وإخلاص طوال هذه السنوات. كما نعرب، في مناسبة رحيله، عن امتناننا للحكومات اللبنانية المتعاقبة التي منحته حق اللجوء السياسي.

* القائدة السابقة للجيش الأحمر الياباني

مونديال 2026... مليارات تتحرّك وصافرة النهاية لا تحسم الأرباح

محمد صعب

لم تعد كأس العالم مجرد بطولة لتتويج بطل جديد، بل أصبحت مشروعاً اقتصادياً عالمياً تتداخل فيه السياحة والاستثمار والنقل والتجارة. وفي النسخة الأخيرة بلغت البطولة حجماً غير مسبوق مع مشاركة 48 منتخباً وإقامة 104 مباريات في 16 مدينة، لتصبح الأكبر في تاريخ المونديال.

وبحسب دراسة مشتركة لـ«فيفا» ومنظمة التجارة العالمية يُتوقع أن يولّد الحدث نحو 80,1 مليار دولار من النشاط الاقتصادي العالمي، وأن يضيف قرابة 40,9 مليار دولار إلى الناتج المحلي الإجمالي العالمي مع دعم ما يقارب 824 ألف وظيفة.

> كرة القدم قادرة على تحريك الاقتصاد العالمي، لكنها لا تضمن وحدها تحقيق التنمية

غير أن هذه الأرقام لا تعني أرباحاً صافية للدول المضيفة، بل تمثّل إجمالي النشاط الاقتصادي الذي ولّدته البطولة.

استحوذت الولايات المتحدة على النصيب الأكبر من العوائد بحكم استضافتها معظم المباريات، إذ قدّرت الدراسات أن يصل الأثر الاقتصادي داخلها إلى 30,5 مليار دولار، مع مساهمة تقارب 17,2 مليار دولار في الناتج المحلي، ودعم نحو 185 ألف وظيفة. كما أظهرت بيانات أولية بعد انتهاء البطولة ارتفاعاً كبيراً في إنفاق الزوار، ولا سيما في الفنادق والمطاعم وقطاع التجزئة، بينما قدّر محلّلو (بنك أوف أميركا) الأثر الاقتصادي للبطولة بنحو 20 مليار دولار داخل الولايات المتحدة.

أمّا كندا، فقدّرت الجهات المنظّمة أن تحقّق البطولة نشاطاً اقتصادياً يصل إلى 30,8 مليار دولار كندي مع إضافة نحو مليارَي دولار كندي إلى الناتج المحلي مستفيدة من ارتفاع أعداد الزوار وتعزيز صورتها كوجهة سياحية واستثمارية.

استحوذت الولايات المتحدة على النصيب الأكبر من العوائد بحكم استضافتها معظم المباريات (ويب)

أمّا في المكسيك فقد جاءت النتائج أكثر تحفّظاً، فبينما كانت التوقعات تشير إلى استقبال ملايين الزوار، قدّرت شركة (ديلويت) الأثر الاقتصادي للبطولة بنحو 2,54 مليار دولار، مع توفير أكثر من 100 ألف وظيفة مؤقتة. كما رأت مؤسسات مالية أن مساهمة البطولة في النمو الاقتصادي لم تتجاوز 0,5%، ما يعكس محدودية تأثير الأحداث الرياضية الكبرى في الاقتصادات الوطنية إذا لم ترافقها سياسات تنموية طويلة الأمد.

ورغم تجاوز الحضور الجماهيري 6,7 ملايين متفرّج؛ يؤكد اقتصاديون أن امتلاء الملاعب لا يعني بالضرورة تحقيق أرباح واسعة، فجزء كبير من عائدات حقوق البث والرعاية والتذاكر يذهب إلى الاتحاد الدولي لكرة القدم وشركائه التجاريين، بينما تتحمل الحكومات تكاليف الأمن والنقل وتطوير البنية التحتية.

كما أن الإنفاق السياحي لا يتوزّع بالتساوي، إذ تستفيد المدن المستضيفة والفنادق وشركات الطيران أكثر من الشركات الصغيرة، التي قد تتأثر أحياناً بإغلاق الطرق أو تغيّر أنماط الاستهلاك خلال البطولة.

لذلك، فإن تقييم نجاح كأس العالم لا يعتمد على حجم الإنفاق الذي رافق المباريات، بل على ما يبقى بعدها. فإذا نجحت الدول المضيفة في استثمار منشآتها الجديدة، والحفاظ على تدفق السياح، وجذب استثمارات إضافية، فإنها تحوّل المونديال إلى رافعة اقتصادية حقيقية. أمّا إذا انتهى أثره بانتهاء صافرة المباراة الأخيرة، فإن المليارات التي تحرّكت خلال أسابيع البطولة تبقى مجرد انتعاش مؤقت لا أكثر.

ومعه أثبت مونديال 2026 مرة أخرى أن كرة القدم قادرة على تحريك الاقتصاد العالمي، لكنها لا تضمن وحدها تحقيق التنمية فالاستثمار الحقيقي يبدأ بعد رفع الكأس، وعندما تتحوّل أجواء البطولة إلى مكاسب مُستدامة للاقتصاد والمجتمع.

كأس العالم: بطولة تاريخية وجدلٌ لا ينتهي

على مدار أكثر من شهر، تحدّث العالم بلغة واحدة، هي لغة كرة القدم، وذلك من خلال كأس العالم 2026. الحدث الذي جمع مليارات البشر حول الشاشات، وأثبت مرةً جديدة أن المونديال يبقى التظاهرة الرياضية الأهم على وجه الأرض.

كما جرت العادة، لم تكن كأس العالم مجرّد حدثٍ كروي عادي بل حملت معها مزيجاً من اللحظات التاريخية، والمباريات الخالدة، والقصص الإنسانية، إلى جانب جدل تحكيمي وسياسي أثار الكثير من النقاش. وبين الإشادة والانتقاد، يمكن القول إن مونديال 2026 كان واحدةً من أكثر النسخ إثارةً للجدل وحماساً في آنٍ واحد، فكانت الإيجابيات والسلبيات حاضرة في آنٍ واحد.

> قد يكون المونديال الأميركي مُبهراً داخل الملعب لكنّه فتح ملفات سلبية كثيرة

كواليس الصفار والدقائق القاتلة

شكّك كثيرون في المستوى الفني المُرتقب للبطولة قبل انطلاقها، لكنّ منتخبات مثل الرأس الأخضر، وجمهورية الكونغو الديمقراطية، والباراغواي، والإكوادور أثبتت أن الفارق بين الكبار والصغار لم يعد كما كان.

قد لا تكون هذه المنتخبات وصلت إلى الأدوار الأخيرة، لكنها أجبرت منتخبات عريقة على المعاناة، ولعبت مباريات لا تُنسى، وأكّدت أن الانضباط التكتيكي والروح القتالية والعمل الجماعي قادرة على تقليص الفوارق الفنية.

بالفعل تحوّلت بعض المنتخبات «الصغيرة» إلى كوابيس حقيقية للقوى التقليدية، وهو ما منح البطولة بُعداً جديداً وزاد من قيمتها التنافسية.

لكنّ كأس العالم لا تكتمل من دون المواجهات الكبرى، وقد قدّمت هذه النسخة ما كان بنتظره عشاق اللعبة. إسبانيا والبرتغال، إسبانيا وفرنسا، والأرجنتين وإنكلترا على سبيل المثال لا الحصر. مباريات حملت كل عناصر الإثارة، من الجودة الفنية إلى الصراع التكتيكي والنِدّية حتى اللحظات الأخيرة. واكتمل المشهد بمباراة تحديد المركز الثالث التي جاءت استثنائية، بعدما قدّمت إنكلترا وفرنسا واحدة من أكثر المباريات متعةً في البطولة، وانتهت بفوز إنكليزي مثير بنتيجة 6-4، في مهرجان هجومي نادر الحدوث في مباراة رسمية بهذا الحجم.

لذا إذا كان لا بدّ من اختيار عنوان رياضي للمونديال، فسيكون بلا شك «مونديال الأهداف القاتلة»، إذ بقيت عشرات المباريات مفتوحةً على كل الاحتمالات حتى الثواني الأخيرة، التي تحوّلت إلى مصدرٍ للتشويق والتوتر.

هذه اللحظات لم تمنح الجماهير إثارةً استثنائية فحسب، بل أكّدت أن الاستسلام لم يعد خياراً لأي منتخب، وأن صافرة النهاية وحدها كانت قادرة على حسم النتائج.

ومن أجمل ما قدّمته البطولة أنها جمعت بين مدارس كروية متناقضة، لكنها جميعاً نجحت في فرض شخصيتها.

إسبانيا مثلاً واصلت الاعتماد على الاستحواذ والسيطرة المُنظّمة، بينما اعتمدت فرنسا على السرعة والانتقال المباشر. أمّا الأرجنتين، فقدّمت كرةً تعتمد على الإبداع والفوضى الخلّاقة.

خيبة أمل الكبار والتحكيم

وبالحديث عن الكبار، لم يكن الجميع على مستوى التوقعات، والمثال الأبرز على الإخفاق المُدوّي كان ألمانيا، إذ بعد بدايةٍ قوية وفوزٍ كاسح على كوراساو 7-1، تراجع أداءُ «المانشافت» بصورةٍ لافتة، فعانى أمام ساحل العاج والإكوادور قبل أن يودّع البطولة أمام الباراغواي في الدور الـ 32، وهو خروج اعتبره كثيرون مُستحقاً.

ولم يكن حال كروatia أفضل، إذ غادر وصيف مونديال 2018 من دون أن يترك بصمة حقيقية، بينما ودّعت البرتغال بقيادة كريستيانو رونالدو البطولة وسط غياب واضح للانسجام الجماعي، رغم امتلاكها أسماء من الطراز العالمي، ومثلها البرازيل التي صدمت عشاقها مُجدّداً.

ومن سلبيات المونديال إلى حدٍّ ما، كان التحكيم المثير للجدل بشكلٍ كبير، إذ تصدّرت تقنية حكم الفيديو المساعد عناوين البطولة في أكثر من محطةٍ بعدما تفاوتت معايير احتساب الأخطاء، إضافةً إلى بعض القرارات التحكيمية غير الواضحة أو المفهومة، والتي أعادت فتح النقاش حول حدود تدخّل التكنولوجيا في كرة القدم.

ورغم أن التقنية وُجدت لتقليل الأخطاء، فإنها في كثيرٍ من الأحيان أصبحت جزءاً من الجدل بدلاً من أن تكون جزءاً من الحل.

وبعيداً من المستطيل الأخضر، لم تسلم البطولة من التدخّلات السياسية، فقد واجهت الولايات المتحدة والاتحاد الدولي لكرة القدم انتقادات بسبب عدد من القضايا التي ارتبطت بإجراءات السفر، والتعامل مع بعض الوفود، وسط قرارات أثارت تساؤلات حول مدى الالتزام بشعار «كرة القدم توحّد العالم».

كما تضاف بعض الملفات المثيرة للجدل، ومن بينها قضية المهاجم الأميركي فولارين بالوغون، الذي سُمح له باللعب ضد بلجيكا رغم تلقّيه بطاقةً حمراء في مباراةٍ سابقة، وذلك بعد تدخّل الرئيس الأميركي دونالد ترامب لدى رئيس «الفيفا» السويسري جياني إنفانتينو.

بطبيعة الحال، ورغم كل ما رافقها من انتقادات، لا يمكن إنكار أن كأس العالم 2026 قدّمت بطولة غنية بالمشاعر والقصص التاريخية، فقد جمعت بين مفاجآت المنتخبات الصاعدة، والمواجهات الكبرى، والأهداف القاتلة، والقرارات الصادمة، وذلك في نسخةٍ كشفت أن كرة القدم لا تزال تواجه تحدّيات تتجاوز حدود الملعب، سواء في التحكيم أو التنظيم أو التداخل المتزايد بين الرياضة والسياسة.

ببساطة، قد يكون المونديال الأميركي مُبهراً داخل المُعشّب الأخضر، لكنه في الوقت نفسه فتح ملفات كثيرة ستبقى محل نقاش حتى انطلاق النسخة المقبلة.

(الأخبار)

سرق ترامب جزءا من المشهد المونديالي بتدخلاته السياسية (انترنت)

السلة اللبنانية

الحكمة يُعادل سلسلة النهائي مستفيداً من إصابة عرقجي

حسين سقور

إصابة وائل عرقجي، هذا هو العنوان الرئيسي للمباراة الثانية من سلسلة نهائي بطولة لبنان لكرة السلة، والتي انتهت لصالح الحكمة بنتيجة (101 - 96)، لتتعادل السلسلة بانتصار لمثله.

أصيب نجم نادي الرياضي بقدمه اليمنى، خلال هجمة لم يحصل فيها أي احتكاك. سقط عرقجي لوحده على أرض الملعب في منتصف الربع الثاني من اللقاء، ومعه تعقدت حسابات بطل لبنان في سلسلة النهائي. الكلام هنا ليس انتقاصاً من نجوم الرياضي الآخرين الذين قدّموا مباراة ممتازة، بل تأكيد على مكانة عرقجي في الفريق، وقدرته على قيادة زملائه نحو منصات التتويج نظراً لقدارته الكبيرة، وخبرته في مثل هذه اللقاءات. وحتى كتابة هذه السطور منتصف ليل الجمعة - السبت، كان أفضل لاعب في آسيا يخضع للفحوصات والصور للوقوف على حقيقة الإصابة ومدة الغياب المتوقعة عن الملاعب.

وبالعودة إلى تفاصيل اللقاء، فقد تمكن الحكمة من معادلة سلسلة النهائي، التي يحسمها من يحقق 4 انتصارات من 7 مباريات.

وكان اللقاء متقارباً في معظم فتراته، مع أفضلية نسبية للحكمة الذي استفاد من عاملي الأرض والجمهور. وبعد أن بدأ اللقاء بدفاع قوي من الفريقين، نجح تايرل هاريسون بتسجيل نقاط حاسمة ومهمة، لينتهي الربع الأول لصالح الحكمة (24-18)، واستمر التقدم الحكماوي في الربع الثاني نتيجة التسرع والضياع الذي كان واضحاً على لاعبي الرياضي، خاصة هايك غيوكوشيان وروناللد مارش اللذين أضاعا العديد من التسديدات عن خط الرميات الثلاثية لينتهي الشوط الأول على واقع (47-39).

في الربع الثالث حاول الرياضي العودة، ونجح بتقليص الفارق بعد الأداء الرائع للاعب ارتكازه كوات نوي، لينتهي الربع الثالث (73 - 70) واستمر تقارب المستوى في الربع الرابع والأخير مع تألق لاعبي الفريقين، إلا أن كرة خاطئة واحدة من لاعب الرياضي الصربي دوشان ميليتيتش قبل دقيقة على نهاية اللقاء، أعطت الحكمة التقدم بفارق 4 نقاط (97 - 93)، ليأخذ الحكمة معنويات، ويتمكن من التسجيل عبر يوسف خياط ويخرج فائزاً.

وكان أفضل مسجل في المباراة ديشوندري وانشطن مع 28 نقطة مع 22 لهاريسون و18 لسيكو دومبويا. وكان لعلي مزهر 13 تمريرة حاسمة. أما من جهة الرياضي فقد سجل كوات نوي 26 و11 لميليتيتش.

يذكر أن المباراة الثالثة في سلسلة النهائي تُلعب غداً الأحد الساعة 21,30 بتوقيت بيروت على أرضية ملعب الرياضي في المنارة.

خرج وائل عرقجي مصاباً من اللقاء

> قدّم لاعب ارتكاز الحكمة تايلر هاريسون مباراة مميزة

الكرة اللبنانية

سجّل علي قصاص ثنائية غالية للنجمة في مرمى جويا (طلال سلمان)

استغلّ فضل عنتر خطأ أنصارياً وسجل هدف فريقه العهد (طلال سلمان)

الدوري يشتعل بفوز النجمة وتعثّر الأنصار

عبد القادر سعد

اشتعل الدوري اللبناني لكرة القدم بكل ما للكلمة من معنى بعد نهاية المرحلة الرابعة من رباعية الأندية الأوائل. اشتعل «بفضل» نادي العهد الذي عرقل الأنصار بعد التعادل 1-1، مانحاً النجمة هدية كبيرة. هدية تلقّفها النجماويون بفوزهم على جويا 2-1 ليتقلص الفارق إلى نقطتين بين الأنصار المتصدر بـ33 نقطة والنجمة الوصيف بـ30 نقطة قبل مرحلتين على نهاية الدوري.

في جونيه، كان العهد يقدّم مباراة لعب فيها بشرف رغم غياب الحافز لديه فكرر نتيجة الذهاب وتعادل مع الأنصار 1-1. هذه المرة الأنصار هو من عادل بعد أن تقدم العهد بهدف فضل عنتر في الدقيقة 40 بعد خطأ قاتل من المدافع رفيق مدنيني، قبل أن يعادل الأنصار من ركلة جزاء عبر لاعبه السنغالي الحاج مالك في الدقيقة 82. خالف العهد جميع التوقعات بألّا يكون هناك دافع للاعبيه للفوز، لكن أرض ملعب جونيه شهدت أداءً عالياً من العهداويين خصوصاً في الشوط الأول.

في المقابل، كان الشوط الثاني أنصارياً بامتياز حيث ضغط الأنصاريون بقوة سعياً وراء هدف التعادل وحتى أكثر على وقع أخبار جنوبية بتقدم النجمة على جويا. لكن الأنصار اصطدم بحارس هو شاكر وهبي الذي قدّم واحدة من أفضل مبارياته، فحرم الأنصاريين من خط دفاعه بقيادة نور منصور من الخروج فائزين وسط غضب جماهيري أنصاري كان واضحاً بعد المباراة.

في جويا، كانت الإثارة على أشدّها بين النجمة وجويا في لقاء، مصيري للطرفين. فالنجمة لا يمكن له سوى الفوز في حال أراد الإبقاء على حظوظه بإحراز اللقب، أما جويا فعينه على المركز الثاني المؤهّل إلى اللعب في بطولة دوري التحدي الآسيوي.

أجواء الملعب كانت رائعة مع جمهور نجماوي كبير، وآخر من جانب جويا جيد أيضاً. جاء الشوط الأول متكافئاً، قبل أن ينجح النجمة في التقدم في الشوط الثاني عبر نجمه علي قصاص الذي سجّل ثنائية غالية لفريقه، الأولى في الدقيقة 53 والثانية من ركلة جزاء في الدقيقة 67.

هدفان وصل صداهما إلى جونيه، قبل أن ينجح جويا في تقليص الفارق عبر أوسيني في الدقيقة 72 بعد خطأ من الحارس مصطفى مطر. نشط جويا سعياً وراء هدف التعادل، لكن صافرة الحكم أحمد علاء الدين كانت أسرع منه ليخرج النجمة فائزاً 2-1.

وتقام المرحلة الخامسة قبل الأخيرة يوم الثلاثاء، حيث يلعب النجمة مع العهد في جويا، والأنصار مع جويا في جونيه.

الأخبار
al-akhbar
www.al-akhbar.com
السبت 25 تموز 2026 العدد 5834

(نهاد علم الدين)

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن
شركة أخبار بيروت

رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

مجلس التحرير
امل الاندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

المدير الفني
صلاح الموسى

المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص. ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
التوزيع
شركة الاوائل
15ـ 01/ 666314 ـ 03 / 828381
الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar
www.al-akhbar.com
السبت 25 تموز 2026
العدد 5834 السنة العشرون
Samedi 25 Juillet 2026 no 5834 20ème année

عام على الغياب

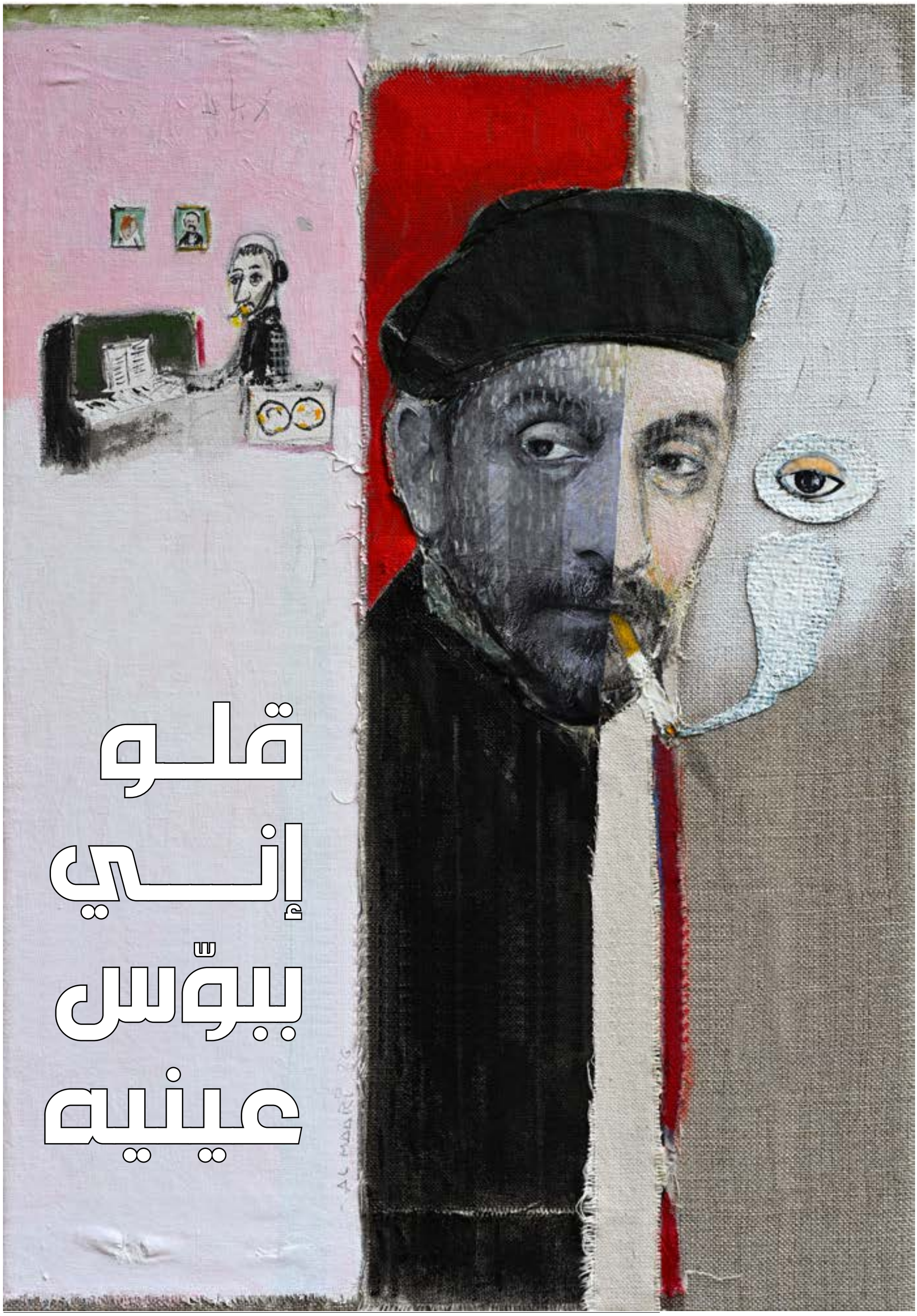

تحية لزياد بريشة الفنان السوري بطرس المعري

عام على رحيله

على الغياب

كان مريضاً بالبيئة اللبنانية بقدر ما كان طبيباً لها

زياد الرحباني... قلو إني ببوّس عينيه

بعد عام على رحيله، لا تزال أسئلة زياد الرحباني أكثر راهنية من زمنها. لم يغيّر المسرح والموسيقى فحسب، بل أعاد تشكيل اللغة اليومية، وفضح تناقضات المجتمع اللبناني والطائفية والطبقات. إرثه الحقيقي ليس نصوصاً تُحفظ، بل طريقة في التفكير لا تزال تضع الواقع على خشبة المَسرحة

محمد ناصر الدين

في الذكرى الأولى لغياب زياد الرحباني (1956 ـ 2025)، قد يبدو ساذجاً ذلك السؤال الذي يرافق موت كل شخصية إبداعية حول ما اندثر منها وما بقي. فالإجابة واضحة وضوح الشمس في الأغاني والمسرحيات والتسجيلات الإذاعية والعبارات التي صارت جزءاً من كلام المدينة ونسيجها اللغوي ومزاجها الفني والثقافي.

ثمّة سؤال آخر يبدو أكثر إلحاحاً: لماذا لا يزال غيابه جنازةً غير مُكتملة؟ وبالتالي يمكن نصبه، مثل كثيرين غيره، في صيغة الماضي، فنقول إن فناناً كبيراً عاش ورحل وترك وراءه تراثاً ومجموعة من الأيتام؟ لعل السبب أنّ زياد لم يقدّم لنا أعمالاً مُكتملة يمكن إغلاقها وحفظها في الأرشيف، بقدر ما

> **تبدو مسرحياته اليوم أقل شبهاً بوثائق تاريخية، وأقرب إلى خريطة طريق لقراءة الحاضر**
>
> **ظل ماركسياً حتى آخر حياته، ولم يساوم في موقفه من الإمبريالية أو من الاحتلال الإسرائيلي أو من الرأسمالية**

اخترع طريقةً ولُغة للنظر والكلام ومُساءلة اليقينيات والسخرية المرة؛ طريقة لا تزال توغل في حياتنا، حتى بعدما تقاعد صاحبها بيولوجيّاً في موته.

من القرية الرحبانية إلى مدينة زياد

كان يمكن لمسيرة زياد أن تكون امتداداً جينياً للبيت الرحباني: الابن الموهوب الذي يرث الموسيقى والاسم وصوت فيروز الذهبي في الغناء العربي، ثم يضيف فصلاً جديداً إلى الحكاية العائلية. لم يشأ الولد هدم البيت بالطريقة الفرويدية، إلا أنّه لم يسكنه كما هو، بل فتح نوافذه على الشارع، وأدخل إليه ضوضاء المدينة الصعبة، ولكناتها المُستلّة من الضيع التي شكّلتها كالعنقود بتعبير الشاعر الراحل عصام العبدالله، وديالكتيك الصراع بين طبقاتها المتعدّدة محمولاً على ترسانة لغوية ثقيلة من قاموس العمّال والموظفين والصحافيين والمسلّحين والنذل والمثقّفين وغيرهم. ربما لهذا لا ينبغي أن نستعيد زياد اليوم عبر تعداد الحانه ومسرحياته، ولا ما ربحته أو خسرته فيروز عبر المقارنة التقليدية بينه وبين أبيه وعمّه، بل في تغييره العبقري لزاوية النظر برمّتها: تجاوز المسرح الرحباني مع زياد محدوديته القروية التي تتوخّد في النهاية حول الحب أو العدالة أو تقديم البطلة على مذبح التضحية لاستعادة الوئام المنشود، ليصير مكاناً تتجاور فيه الأصوات من دون أن تتصالح بالضرورة.

المتفرّج الذي صار جزءاً من العرض

إلا أنّ الأثر الأعمق الذي تركه هو تغييره لطبيعة المتلقّي نفسه لهذا الفنّ والمسرح. قبل زياد كان المشاهد يستطيع أن يقف خارج العمل، يتأمل القرية الرحبانية الجميلة ويشعر بنوع من النوستالجيا إلى طقوسها الفولكلورية، أو يدخل في حلمها الجماعي.

مع زياد لم يعد المتلقّي قادراً على البقاء خارج العمل الفني-الإبداعي، لأن الشخصيات مثل قيصر ونزار وزكريا ورشيد وثريا تتقمّص لغته اليومية، وتفكر بتناقضاته، وتسوّغ تنازلاتها بالطريقة التي يسوّغ بها تنازلاته، وتتماهى معه في الصدق والكذب وكل العواطف والانفعالات الإنسانية. لم يكن الجمهور مع زياد أمام مرآة صافية للمجتمع الجبلي المُسوّر بالقيم التقليدية الطهرانية، كان أمام مرآة مشروخة يرى نفسه فيها بكل تناقضاتها المدينية أو الريفية التي استعصت على بناء المدن، مرآة إشكالية لا يستطيع هذا الجمهور أن يحب صورته فيها ولا أن يتبرّأ منها بالكامل.

ابن التحوّلات... لا ابن الحرب

لم يكن زياد ابن الحرب أولاً، كما يظن كثيرون، بل ابن النقلة التي سبقت الحرب. جاءت هذه النقلة في لحظة لبنانية فريدة في خصوصيتها الثقافية-الاجتماعية وبالتالي السياسية. كانت بيروت وضواحيها تستقبل موجات واسعة من الهجرة الداخلية، وتتشكّل فيها طبقة وسطى جديدة، وتنشأ أنماط مختلفة من علاقات الإنتاج والعمل والسكن والاجتماع، وهي ديناميات جعلت الوطن الصغير فضاءً سريع التحول، أقرب إلى «نزل السرور» الذي تتكدّس فيه الطموحات والخيبات والاختلافات الطبقية والطائفية منه إلى قرية «ميس الريم» الوادعة. وُلد مسرح زياد من هذا التمدين الفجّ والعشوائي، ومن صعود الحركات الطالبية والنقابية والسياسية، ومن الإحساس بأن المجتمع والبنى القديمة تتفكّك دون أن يولد الجديد، والأهوال العظيمة في هذا البرزخ بينهما بتعبير غرامشي. ولهذا لم يكن زياد «واصفاً» للمدينة فحسب؛ كان واحداً من أعراضها، أو كما وصفه رفيق دربه الراحل زياد بو عبسي: مريضاً بالبيئة اللبنانية أكثر مما كان طبيباً لها. هذه الإصابة بالواقع هي ما أعطى لغته حرارتها، ولذا بدت جُمله كأنها التُقطت في سيارة أجرة أو مقهى أو حانة أو سوق شعبي، ثم أعيد تركيبها موسيقياً ومسرحياً حتى صارت أكثر واقعية من الواقع نفسه.

حين أصبحت اللغة ساحة صراع

كان زياد يعرف تمام المعرفة أنّ اللهجة ليست مجرد وعاء محايد للمعنى، بتناقضاتها الطبقية والطائفية والجغرافية والنفسية. للمتكلم، حين يتلعثم بطل في جملة في إحدى مسرحياته، ويلعب آخر على مفارقة لاختراع شتيمة، ويستعير ثالث لغة أيديولوجية لا تشبهه حياته، من هذا التفاوت تنشأ الكوميديا، ولكن تنكشف أيضاً الميكانيزمات المخفية للسلطة: مَن يملك حق الكلام في قلب هذه المعمعة؟ مَن يقلّد لغة الآخرين؟ مَن يحاول أن يخفي أصله أو طبقته أو خوفه خلف ستار من الكلمات؟

في مسرح الأخوين، كانت اللغة جزءاً من بناء عالم متجانس، حتى عندما يتصارع أبطاله. أما عند زياد، فالصراع موجود داخل اللغة ذاتها. كل شخصية تحمل قاموسها وإيقاعها ووسوء فهمها الخاص، وبذلك، صار المسرح قريباً مما يسميه باختين تعدّداً في الأصوات: لا صوت أخيراً يختصر بقية الأصوات، ولا حكمة ختامية تلغي التناقضات، وكان الحوار في ما بينها هو حوار الأسئلة اللاهثة، والقناعات الناقصة والنماذج المكسورة. كما أنّ الشخصيات تُبنى فيه كي تمثّل أفكاراً بقدر ما تعيش تناقضاتها: الثائر ليس قدّيساً، والموظف ليس جباناً بالضرورة، والمثقّف ليس أكثر وعياً من النادل أو السائق، الجميع يحملون هشاشتهم الخاصة، ولهذا يشعر المشاهد بأنّ المسرحية لا تحاكمه من الخارج، بل تضعه داخلها، ويخرج منها وهو يشك في نفسه. لقد نقل زياد اللهجة من كونها علامة هوية «قومية» موحّدة إلى كونها ساحة صراع حيّة، وكانت محاكاته الساخرة للإرث الرحباني لا تزدهر إلا حين تتحرر من أسطورة اللغة الواحدة ومن ادّعائها تمثيل المجتمع بأكمله.

البيت الرحباني بعد الحرب

أحرق الولد الثائر قرية الرحابنة اليوتوبية لأنه لم يجدها، وعاقبها لأنها وعدته ببساطة لم يجدها عقله الجدلي في تناقضات الواقع: من هذه المسافة الملتبسة بين الحنين والإنكار وُلدت كل طاقته في إعادة تظهير صورة البيت الرحباني بطريقة تكشف الشقوق المخفية فيها. ولذلك، يمكن سماع عاصي ومنصور في أعماله، ولكن بعدما عبر مسرحهما حرباً أهلية، وانهياراً طبقياً، وخيبات أيديولوجية.

الفن... ضد اليقين

لطالما ارتبطت فكرة التغيير عند زياد بقلق يمنعه من التحوّل إلى أيقونة مريحة: كان التزامه السياسي أشدّ من أن يسمح له بتقديس المناضلين، مثلما كان حبه للموسيقى أشد من أن يسمح له بتقديس الموسيقيين. من هنا جاءت قسوته: كل فكرة لا تختبر نفسها في التفاصيل اليومية تصبح شعاراً، وكل ثائر لا يختبر علاقته بالمال والسلطة وآليات الفساد والطائفية والتخلف العميقة قد يعيد إنتاج العالم الذي ثار عليه، فتغدو العلاقات قابلة للبيع، والكرامة تتآكل تحت ضغط الحاجة. كما أنّ ما جعل مسرحه يبدو متنبّئاً بالأهوال الكبيرة التي تنتظر الوطن الصغير هو أنه التقط البنية العميقة التي تواصل إنتاجها لهذه المحَن والنكبات. تخطّت نظرته إلى الحرب بوصفها تصعيداً عسكرياً ومجازر على الهوية وكليشيهات جاهزة كالقول بأنها «حروب الآخرين على أرضنا»، لتعالج في الصميم المنظومة الاجتماعية والنفسية التي تجعل الحرب ممكنة، وتعيد إنتاجها حتى في زمن السلم، كما حاولت الإجابة على أحد أكثر الأسئلة تعقيداً: هل الطائفية هي أصل الصراع السياسي أم وجه من وجوهه؟ لذلك تبدو مسرحياته اليوم أقل شبهاً بوثائق تاريخية، وأقرب إلى خريطة طريق لقراءة الحاضر، يتبدّل فيها النص بقدر المتلقّي الذي يكتشف في كل مرحلة طبقةً جديدة من معانيه.

ومن هنا أيضاً جاءت فرادة التزامه السياسي. لقد ظل ماركسياً حتى آخر حياته، ولم يساوم في موقفه من الإمبريالية أو من الاحتلال الإسرائيلي أو من الرأسمالية التي كان يرى أنها تنتج اغتراب الإنسان قبل أن تنتج فقره. لكن زياد كان أيضاً يعرف الحد الفاصل بين الدعاية والفن، الدعاية التي تعرف جوابها مُسبقاً، مقابل الفن الذي يعرف أسئلته فحسب.

مسرح بلا نهاية

وربّما لهذا السبب سمح لشخصيات مسرحياته بأن تتلعثم، وأن تتناقض، وأن تخاف، وأن تتراجع، وأن تحمل أسئلة أو أجوبة وجودية ناقصة تقود إلى القلق أو المرض، لأنّ الإنسان الحقيقي يفعل ذلك كله، ولأنّ الحقيقة السياسية التي لا تستطيع أن تمرّ عبر ضعف الإنسان، ليست قابلة للحياة. ولهذا أيضاً تبدو كلمة «العبثية» التي أُلصقت كثيراً بمسرحه وصفاً مُضلّلاً. فالعبث عند بيكيت أو يونسكو ينبع من انهيار المعنى نفسه. أمّا عند زياد فالمعنى موجود، لكنه محاصر، والشخصيات مثل رشيد أو نزار أو عبد الأمير ليست عاجزة عن الفهم، بل يستعصي عليها تغيير العالم الذي فهمته. إنّها ترى النظام الذي يسحقها، لكنها لا تعرف كيف تخرج منه. كان زياد يدفع الناس في مسرحه إلى البلبلة التي تُضحِك، لأن المعنى نفسه أصبح محاصراً بالبيروقراطية والطائفية والحاجة اليومية والخوف. ربما لهذا السبب لم نعثر في مسرحياته على نهايات مُغلقة، فالحياة التي كان يكتب عنها لم تكن تعرف النهايات. لم يكن هناك انتصار نهائي، ولا هزيمة نهائية، ولا ثورة تكتمل، ولا استقرار في البيت اللبناني بمنازله الكثيرة.

كان يشعر، بحدس الفنان والمفكّر، أن الوطن المُكبّل دخل زمناً دائرياً يعيد إنتاج أزماته البنيوية أكثر مما يحلّها.

واليوم، بعد سنة على رحيله، تبدو هذه النهايات المفتوحة أكثر حضوراً من أي وقت مضى: أجيال لم تعش الحرب الأهلية والشروط التي أنتجتها تحفظ نصوصه عن ظهر قلب كما لو أنها كُتبت لها، أجيال بينها وبين «نزل السرور»، ولا «بالنسبة لبكرا شو؟» مسافة زمنية معتبرة، لكنها تجد نفسها فيها.

هنا يكمن الامتحان الحقيقي لأي عمل فني: أن يعيش لأنه يصف زمناً مُعيّناً بإتقان، وأن يخلد بعد موت صاحبه ليلتقط شيئاً أعمق من الزمن نفسه.

الستارة لم تُسدل

ثمّة خطر دائم يتهدد المبدعين الكبار بعد رحيلهم. يتحولون تدريجياً إلى صور مُعلّقة على الجدران، أو إلى فولكلور سنوي يتبادل فيه أيتامهم الحنين. أمضى زياد الرحباني عمره يقاوم تحويل الفن إلى متحف، واللغة إلى أناشيد، والسياسة إلى يقين مُغلق، سيكون من الظلم أن نحوّله، بعد موته، إلى ما كان نقيضه في حياته.

ربما تكون أفضل طريقة للاحتفاء به هي أن نقرأه كما لو أنه لا يزال بيننا، أن نسمح لأعماله بأن تواصل مُساءلتنا نحن. أن نخوض الامتحان الأخلاقي الذي كان يطرحه علينا في كل مشروعه:

هل نستطيع أن ننظر إلى أنفسنا بذلك القدر من القسوة والحنان معاً؟ هل نستطيع أن نضحك من تناقضاتنا من دون أن نفقد الرغبة في تغييرها؟ وهل نستطيع أن نحب هذا البلد من دون أن نكفّ عن مُساءلته؟

وما دامت البلاد عالقة في منتصف حكايتها، ستبقى مسرحية زياد أيضاً في منتصفها. لقد خرج الرجل من الخشبة، وأغلق البيانو للمرة الأخيرة، لكنّ الستارة لم تُسدل. ما زلنا، نحن الجالسين في العتمة، ننتظر تلك الجملة التي ستعلن انتهاء العرض.

عام
على رحيل زياد الرحباني

مشروع متكامل يجمع الموسيقى والمسرح والسخرية والفكر

ما بقي من زياد!

بعد عام على رحيله، لا تزال أسئلة زياد الرحباني أكثر حضوراً من الإجابات. لم يكن مجرّد موسيقي أو كاتب مسرحي، بل صاحب مشروع فكري قرأ المجتمع والسياسة والاقتصاد بعينَي الفنان. شهادات مقرّبين تكشف وجهاً أقل شهرة لرجلٍ ظلّ عصيّاً على التقليد، حتى بعد غيابه

عَادة حداد

في الذكرى الأولى لرحيل زياد الرحباني، لا تبدو العودة إلى أعماله استعاداةً لفنان غاب، بقدر ما هي محاولة للاقتراب من مشروع تجاوز الموسيقى والمسرح. خلف الألحان والشخصيات الساخرة، كان ثمّة انشغال دائم بالاقتصاد والسياسة والمجتمع، ورؤية فكرية متكاملة انعكست في كل ما كتب ولحّن وقدّم.

عام على رحيل زياد الرحباني. في السادس والعشرين من تموز (يوليو) الماضي، انكسر شيء في الروح. خسرنا فرصة موسيقى جديدة، فكرة جديدة، لقاء عابراً. خسرنا الكثير من الاحتمالات والافتراضات. ولربّما ربح من اعتقد أنّه سيرث زياد.

منذ عام خسرنا حقيقتنا. خلف حفلات الجنون والقلق والكذب والمديح، ثمّة حياة حقيقية، وأناس عاديون، لم يتحدّث أحد باسمهم، ولم يلتفت إلى معاناتهم، إلا زياد. ومن بعده، حاول كثيرون تقليده، وتأثّرت به أجيال كاملة، بلغته، ونبرة صوته، وحركة جسده، وأسلوب حياته الذي يدّعي كثيرون معرفته، وحسّه الفكاهي. الجميع يقلّده، والجميع ينكر أنه يفعل ذلك. ولعلّ هذا طبيعي بالنسبة إلى فنان عبّر عن الناس كما هم، فلامس لدى كل واحد منهم، مهما اختلفت خلفيته، شبئاً من ذاته. وما تركه زياد لنا أكبر من مجرّد إرث فنّي. ترك لنا مرآة نرى فيها أنفسنا. مرآة تكشف بشاعتنا أولاً، والدرك الذي بلغناه، والذي يوحي بأننا رفضنا النظر إلى هذه البشاعة، وفضّلنا أن نضحك عليها.

لم يكن زياد يفعل شيئاً عبثاً، حتى الضحك كان يتعامل معه بوصفه فعلاً مدروساً. في مقابلة مع هيام أبو شديد، شرح بإسهاب نظرته إلى الكوميديا، وكيف يبني النكتة. قاربها من زاوية علمية، تقوم على أن الضحك يولد من المفاجأة، أو من وقوع ما هو خارج المتوقّع. لذلك، لم يكن الضحك بالنسبة إليه مجرّد موهبة أو خفّة ظل، بل آلية لها قواعدها. وكان يرى أنّ الضحك على خطأ أو على سلوك غير متوقّع، هو في جوهره نوع من تعديل السلوك. كما ميّز بين النكتة التي تُضحِك مرة واحدة لأنها تقوم على عنصر المفاجأة الذي يفقد أثره مع التكرار، والكوميديا التي تنبع من شخصية حقيقية موجودة في الحياة، وهي وحدها القادرة على البقاء.

مشروع فكري وفني

في أحد أيام الشتاء العاصف خلال منتصف ثمانينيات القرن الماضي، اتصل زياد الرحباني بالاقتصادي كمال حمدان قرابة الساعة العاشرة والنصف صباحاً. كانا مدعوّين إلى الغداء في منطقة المتن، لكنّ زياد اقترح أن يلتقيا باكراً، لأن العمل ليلاً سيكون أفضل. وهكذا، التقيا نحو الساعة الحادية عشرة صباحاً، واستمر النقاش بينهما حتى الواحدة بعد منتصف الليل، أي ما يقارب أربع عشرة ساعة متواصلة.

امتدّ النقاش إلى أدق تفاصيل الاقتصاد، من نشوء الطبقات الاجتماعية وتجدّدها، والعلاقة بين السلطة السياسية والاحتكارات، وتشكّل السلطة الاقتصادية بعد الحرب، إلى أسئلة الاحتكار وسعر صرف الليرة اللبنانية. ويكشف هذا الاهتمام ـ بحسب حمدان ـ انشغال زياد الدائم بالقضايا الاقتصادية والاجتماعية، وسعيه إلى فهمها بعمق، حتى أصبحت جزءاً أساسياً من مشروعه المسرحي والموسيقي، رغم أنه لم يدرس هذه القضايا أكاديمياً.

شغلت العلاقة بين الطوائف والطبقات جزءاً كبيراً من تفكيره، وظهرت بوضوح في أعماله. فقد رأى أنّ الطائفية تُستخدم أداةً للاستثمار السياسي والاجتماعي، لكنه رفض اختزال المجتمع في تفسير طائفي أو طبقي ضيق. ولم ينظر إليها باعتبارها مجرّد «بنية فوقية» بالمفهوم الماركسي التقليدي، بل بوصفها جزءاً من تفاصيل الحياة اليومية، من المدرسة والسكن والزواج والأحوال الشخصية إلى المطعم. لذلك وضعها في منزلة وسطى بين البنية الفوقية والبنية التحتية.

السهل الممتنع

يعرّفه حمدان بالمثقّف بامتياز، لكن ثقافته لم تكن استعراضية أو صاخبة، بل ثقافة كامنة تتجلّى في نصوصه المسرحية وموسيقاه أكثر مما تظهر في خطاب مباشر. لذلك، يجسّد نموذج «السهل الممتنع»، إذ يبدو إنتاجه بسيطاً في شكله، لكنه شديد الثراء في مضمونه. فلم يكن يكتفي بالنظر إلى الظواهر أو الشعارات، بل يبحث دائماً عمّا يكمن خلفها، ويعود إلى جذورها ليفضحها ويصوّبها، محوّلاً إياها إلى قوة تدفع مزيداً من الناس إلى البحث عن وسائل لتحسين شروط حياتهم وعملهم.

وإذا كان لا بدّ من تلخيص شخصيته الفكرية، فيرى حمدان أنه جمع في شخصه شيئاً من كبار رواد الفكر الاشتراكي، مثل كارل ماركس وفلاديمير لينين وفريدريك إنجلز. وفي المقابل، يجد فيه أيضاً جانباً من السيّد درويش، الذي حوّل هموم الناس وبساطتهم إلى لحن وموسيقى هزّا الشارع المصري ثم العربي، وشارلي شابلن، بسخريته السوداء التي تجعل الناس يضحكون في ما هم، في الوقت نفسه، يبكون. كما يذكّره جانب من تجربة زياد ببرتولت بريشت، الذي كان يحرص على تذكير المتفرّج بأنّ ما يشاهده على المسرح هو عمل مصنوع، لبقى في حالة تفكير لا اندماج كامل. غير أنّ الشخصية الأقرب إليه هي الشيخ إمام، بانحيازه الفطري والطوعي والإنساني إلى الفقراء والمهمّشين، أو إلى ما كان يسمّيه «الغلابة». لذلك، يمكن العثور في تجربة زياد على آثار كل هؤلاء، من المسرح إلى الموسيقى، ومن الفكر إلى ذلك الانحياز الواضح لقضايا الناس، ما يجعله صاحب مشروع فكري متكامل، لا مجرّد موسيقي أو كاتب مسرحي.

ويلفت حمدان إلى أن زياد كان يحتفظ في منزله بأرشيف كبير من المقالات الاقتصادية، إلى جانب المقالات الفنية والفكرية والسياسية. وكان يتابع ما يُكتب عن أوضاع العالم وتطوراته، ويقرأ كثيراً وينقّب باستمرار، بحثاً عن الحقيقة وأجوبة لأسئلة التي شغلته بشأن المجتمع والناس والبلد. لكن، كما يقول، لم يجد أجوبة لكثير من هذه الأسئلة، لأن جيله وجيل حمدان عاشا انكسارات كبيرة، من دون أن يقودهما ذلك إلى الاستسلام، بل إلى الإيمان بضرورة الاستمرار في المحاولة، لأنّ البشرية لا يمكن أن تستمر على النحو الذي تسير فيه اليوم. في ظل هذا القدر من القوة الذي يسمح بمرور الإبادات الجماعية والجرائم من دون حساب. وفي سنواته الأخيرة، ازداد زياد قناعةً بأن البشرية لا يمكن أن تنتهي إلى هذا المصير، وأنّ ثمة مخارج أخرى لمشكلاتها. ومن أبرز إنجازاته، بحسب السعدي، قدرته على إبقاء كل آلة في موقعها الصحيح داخل التوزيع.

أعطى زياد كل آلة حجمها، وكتب لكل آلة، وهذا ما ميّزه عن كل الموسيقيين، فهو برع في التوزيع أكثر من التأليف الموسيقي. يشير السعدي إلى تفاخر زياد وتكرار تعلّم التوزيع على يد المؤلف والموزّع الموسيقي وعازف البيانو الراحل بوغوص جيراليان، لكنّ زياد أخذ هذا التوزيع إلى مستوى آخر. كما يشير إلى مساهمة أشخاص تعامل معهم في أواخر السبعينيات وبداية الثمانينيّات في تطوير قدراته في التوزيع، ما جعله أكثر نضجاً على المستوى الموسيقي. ويصفه السعدي بأنه موهبة استثنائية، تمتلك قدرة كبيرة على استيعاب المعلومة.

يأسف لأنّ كثيراً من طموحات زياد لم تتحقّق في لبنان، إذ لم يجد عدداً كافياً من الموسيقيين الذين يفهمون طريقته في العمل، وهو ما يعيده إلى طبيعة المشهد الموسيقي في البلاد. لذلك، لم يكن راضياً عن الأعمال التي عُزفت في لبنان، فلجأ إلى الاستعانة بموسيقيين عرب وغربيين، وسجّل أعماله في الخارج. ومن المشكلات التي واجهها أيضاً غياب عازفي آلات النفخ في لبنان، في وقت كان فيه مولعاً بهذه الآلات، ويحرص على إشراكها في مقطوعاته، كما كان يكتب النوتة الخاصة بكل آلة بنفسه.

يكشف السعدي أنّ زياد كان مُغرماً بآلة الباص غيتار، وكان يؤلف في السبعينيات معظم أعماله عليها، ثم بيني اللحن، ويضيف إليه الهارموني، وكان يعتقد أنّ الباص هو الذي يركّب الدقة. لكن حبّ وشغف زياد بالموسيقى والدقة، لم يجدا مكاناً لهما في الإعلام وعند المتعهّدين. فالجمهور لا يعرف هذه التفاصيل، لأن الإعلام والمنتجين والمتعهّدين لم يهتموا إلا بالمال والربح، فيما لم يراكم زياد ثروة لأنه لم يقدّم موسيقى استهلاكية. حتى بات الجمهور يطالبه بإلقاء النكات، لا بالاستماع إلى موسيقاه.

يحمّل السعدي الإعلام والمتعهّدين مسؤولية تجهيل الجمهور، متسائلاً: أين كانوا جميعاً عندما كان زياد لا يزال على قيد الحياة، قبل أن يعودوا إلى بثّ أعماله وعزفها بعد وفاته؟

كاتب المسرح والناس

في المسرح، وجد زياد مساحة أخرى للبوح بكل ما كان يشغله ويحاول تفكيكه. يغوص المخرج المسرحي والممثّل الإيمائي فائق حميصي في تجربة زياد الرحباني المسرحية، رافضاً مقولة بأنه لم يدرس المسرح أكاديمياً، لأن هذا الحكم، برأيه، يتجاهل البيئة التي نشأ فيها. فزياد، وإن لم ينتسب إلى كلية أو معهد مسرحي، عاش منذ طفولته في قلب أهم ورشة فنية في لبنان، هي ورشة الأخوين رحباني. رافق والده إلى البروفات والاستوديوات، وتعلّم عملياً من الاحتكاك اليومي بالعمل المسرحي والموسيقي، وهو نفسه تحدّث أكثر من مرة عن تلك المرحلة، موضحاً أنّ ما اكتسبه كان تدريباً تطبيقياً مباشراً. كان مدلّل الرحابنة ملتقى دائماً للموسيقيين المسرحيين والمفكّرين والأدباء، الذين كانوا يقرأون نصوصهم أمام عاصي ومنصور قبل تقديمها.

يتتبّع حميصي تطور تجربة زياد المسرحية، فيرى أنّ «سهرية» قدّم بثلاثة عناصر أساسية، وهي اللحن، والهارموني، والإيقاع. ويرى أنّ ما ميّز زياد هو الهارموني، التي لم تكن موجودة، لدى أي موسيقي آخر في لبنان، إذ إن معظم المستمعين يركّزون على اللحن، فيما تكمن فرادة موسيقى زياد في ما يجري خلفه، وفي الخلفية الموسيقية التي ترافق الكلمة، وقد استخدمها لبناء صلة مع المجتمع وإيصال أفكاره إلى الناس.

تميّز الإيقاع عند زياد بتناغم كبير، لأنّه كان يكره كل ما هو مُبالغ فيه، فلا تطغى آلة على أخرى، بل تكون لكل آلة وظيفتها ومكانها داخل العمل الموسيقي. ومن أبرز إنجازاته، بحسب السعدي، قدرته على إبقاء كل آلة في موقعها الصحيح داخل التوزيع.

أعطى زياد كل آلة حجمها، وكتب لكل آلة، وهذا ما ميّزه عن كل الموسيقيين، فهو برع في التوزيع أكثر من التأليف الموسيقي. يشير السعدي إلى تفاخر زياد وتكرار تعلّم التوزيع على يد المؤلف والموزّع الموسيقي وعازف البيانو الراحل بوغوص جيراليان، لكنّ زياد أخذ هذا التوزيع إلى مستوى آخر. كما يشير إلى مساهمة أشخاص تعامل معهم في أواخر السبعينيات وبداية الثمانينيّات في تطوير قدراته في التوزيع، ما جعله أكثر نضجاً على المستوى الموسيقي. ويصفه السعدي بأنه موهبة استثنائية، تمتلك قدرة كبيرة على استيعاب المعلومة.

يأسف لأنّ كثيراً من طموحات زياد لم تتحقّق في لبنان، إذ لم يجد عدداً كافياً من الموسيقيين الذين يفهمون طريقته في العمل، وهو ما يعيده إلى طبيعة المشهد الموسيقي في البلاد. لذلك، لم يكن راضياً عن الأعمال التي عُزفت في لبنان، فلجأ إلى الاستعانة بموسيقيين عرب وغربيين، وسجّل أعماله في الخارج. ومن المشكلات التي واجهها أيضاً غياب عازفي آلات النفخ في لبنان، في وقت كان فيه مولعاً بهذه الآلات، ويحرص على إشراكها في مقطوعاته، كما كان يكتب النوتة الخاصة بكل آلة بنفسه.

يكشف السعدي أنّ زياد كان مُغرماً بآلة الباص غيتار، وكان يؤلف في السبعينيات معظم أعماله عليها، ثم يبني اللحن، ويضيف إليه الهارموني، وكان يعتقد أنّ الباص هو الذي يركّب الدقة. لكن حبّ وشغف زياد بالموسيقى والدقة، لم يجدا مكاناً لهما في الإعلام وعند المتعهّدين. فالجمهور لا يعرف هذه التفاصيل، لأن الإعلام والمنتجين والمتعهّدين لم يهتموا إلا بالمال والربح، فيما لم يراكم زياد ثروة لأنه لم يقدّم موسيقى استهلاكية. حتى بات الجمهور يطالبه بإلقاء النكات، لا بالاستماع إلى موسيقاه.

يحمّل السعدي الإعلام والمتعهّدين مسؤولية تجهيل الجمهور، متسائلاً: أين كانوا جميعاً عندما كان زياد لا يزال على قيد الحياة، قبل أن يعودوا إلى بثّ أعماله وعزفها بعد وفاته؟

كاتب المسرح والناس

في المسرح، وجد زياد مساحة أخرى للبوح بكل ما كان يشغله ويحاول تفكيكه. يغوص المخرج المسرحي والممثّل الإيمائي فائق حميصي في تجربة زياد الرحباني المسرحية، رافضاً مقولة بأنه لم يدرس المسرح أكاديمياً، لأن هذا الحكم، برأيه، يتجاهل البيئة التي نشأ فيها. فزياد، وإن لم ينتسب إلى كلية أو معهد مسرحي، عاش منذ طفولته في قلب أهم ورشة فنية في لبنان، هي ورشة الأخوين رحباني. رافق والده إلى البروفات والاستوديوات، وتعلّم عملياً من الاحتكاك اليومي بالعمل المسرحي والموسيقي، وهو نفسه تحدّث أكثر من مرة عن تلك المرحلة، موضحاً أنّ ما اكتسبه كان تدريباً تطبيقياً مباشراً. كان مدلّل الرحابنة ملتقى دائماً للموسيقيين المسرحيين والمفكّرين والأدباء، الذين كانوا يقرأون نصوصهم أمام عاصي ومنصور قبل تقديمها.

يتتبّع حميصي تطور تجربة زياد المسرحية، فيرى أنّ «سهرية» قدّم فيها نفسه أولاً بوصفه موسيقياً وملحّناً أكثر من كونه كاتباً مسرحياً. جاءت المسرحية في إطار سهرة غنائية تدور داخل مقهى، وكان ميزها الدرامي وجود سهرة يقدّم خلالها أغانيه، واعتمدت على شخصيات استوحاها من الناس الذين عرفهم في محيطه، ولا سيما من البيئة التي عاش فيها مع الرحابنة، مستفيداً من قدرته الكبيرة على التقاط التفاصيل التي قد لا ينتبه إليها الآخرون.

التحوّل الحقيقي بدأ مع «نزل السرور»، إذ انتقل من العرض

> **انتهى كثيرون ممن حاولوا تقليده إلى استنساخ شكله الخارجي، لا جوهر تجربته**
>
> **رفض اختزال المجتمع في تفسير طائفي أو طبقي ضيق**
>
> **أصاب المجتمع اللبناني في الصميم، بانتقاده الأفراد ومنظومة الاستهلاك، وأوهام الصعود الاجتماعي**

الاستعراضي إلى بناء مسرحي متكامل وفق منهج المسرح الواقعي، بالتزامن مع نضوج وعيه السياسي. شهدت المسرحية انتقاله إلى بناء درامي يقوم على أسس ستانسلافسكي، من خلال شخصيات مكتملة، وعقدة درامية، وتصاعد في الأحداث، وبناء نفسي واجتماعي واضح لكل شخصية. ويشرح حميصي أنّ هذا البناء لم يكن شكلياً، فشخصيات «نزل السرور» لا تتحرك عشوائياً، بل تنطلق من خلفيات اجتماعية واقتصادية ونفسية محدّدة. فجميعها شخصيات مُهمّشة أو فاشلة تعيش حالة من الإحباط، قبل أن يصل الحدث المفصلي المتمثّل في حضور مجموعة تدعوها إلى المشاركة في الثورة، فيبدأ الصراع الحقيقي داخل المسرحية.

تحطيم أوهام المجتمع

يصل هذا المسار، بحسب حميصي، إلى ذروته في «بالنسبة لبكرا شو؟»، التي تمثّل قمة الوعي السياسي والاجتماعي لدى زياد، وتجسّد التزاماً كاملاً بما يعرف في الأدبيات المسرحية بـ«الواقعية الاشتراكية». جميع العلاقات داخل المسرحية يمكن تفسيرها انطلاقاً من الصراع الطبقي، وكل شخصية تمثل موقعاً اجتماعياً واقتصادياً محدّداً، فيما يخدم كل حوار هذا البناء. تنتقد المسرحية البرجوازية اللبنانية، أي الطبقة الوسطى التي راكمت بعض المكاسب من خلال العمل والتجارة، وتسعى إلى الصعود الاجتماعي، لكنها تبقى خاضعة للرأسمالية وآلياتها. وحتى الشخصيات التي تبدو عادية، مثل الشاعر أو رواد المقهى، ليست محايدة، بل تنتمي إلى هذا الواقع الطبقي وتحاول إثبات وجودها داخله. ومن هنا، يصبح الصراع قائماً على كيفية استغلال الرأسمالية لهؤلاء الأشخاص، ودفعهم إلى السعي الدائم لتحسين أوضاعهم الاجتماعية، فيما تستمر في استغلالهم. وبرأي حميصي، أصاب زياد المجتمع اللبناني في الصميم، بانتقاده الأفراد ومنظومة الاستهلاك، وأوهام الصعود الاجتماعي، والعلاقات التي تحكم المجتمع اللبناني بأسره.

شكّلت مسرحية «فيلم أميركي طويل» امتداداً لهذا المسار، لكنها ركّزت على أثر الحرب في العلاقات الإنسانية أكثر من تقديم رؤية شاملة للمجتمع، الذي بدا مُهدّداً بالتفكك فيما يواصل أفراده ترديد الشعارات نفسها من دون تغيير واقعهم. هنا لم يعد الصراع اجتماعياً فقط، بل أصبح وجودياً، مرتبطاً بالحرب وبالإنسان نفسه.

منذ هذه المرحلة، بدأ زياد يقتنع بأن المشكلة لا تكمن فقط في النظام الاجتماعي أو العلاقات الاقتصادية، بل أيضاً في الأفراد أنفسهم. تبلورت هذه الفكرة بوضوح في «بخصوص الكرامة والشعب العنيد»، حيث تحوّلت كل شخصية إلى عالم مستقل يحمل تناقضاته وأزماته الخاصة. وقد اعتمد فيها، وكذلك في «لولا فسحة الأمل»، أسلوب التغريب عند بريشت، بعدما كان يرفضه سابقاً. ويعزو حميصي هذا التغيير إلى تطوّر التحليل السياسي والاجتماعي لدى زياد. فالكاتب، مثل أي إنسان، تتبدّل رؤيته مع الزمن، وما يعيشه ويناقشه وينشغل به ينعكس على أعماله.

يؤكد حميصي أنّ تجربة زياد الرحباني ستبقى جزءاً أساسياً من تاريخ المسرح اللبناني، لأنه كان كاتباً ومخرجاً وموسيقياً وممثلاً ومؤلّفاً ومخرجاً، وهي تركيبة نادرة. لذلك، فإنّ من يحاول تقليده سينتهي غالباً إلى تقليد الأداء الخارجي للشخصيات. ويلاحظ أنّ كثيراً من العروض التي تعيد تقديم مسرحياته اليوم ما زالت تقلّد طريقته في الأداء، بدلاً من إعادة قراءة نصوصه برؤية إخراجية مختلفة. ومع ذلك، فهو يعتقد أن أفكار زياد ومعالجاته الدرامية يمكن أن تُقدَّم بأشكال جديدة في المستقبل، شرط أن يتحرّر المسرحيون من تأثير شخصيته الطاغية.

كل ما قدّمه زياد كان امتداداً لأفكاره، ولم يكن يتوقع أن يتحوّل إلى مرجعية فكرية وفنية، أو إلى شخصية يتمثّل بها هذا العدد الكبير من الناس، وأن يطبع أجيالاً من الفنانين. وربما لهذا السبب تحديداً، انتهى كثيرون ممن حاولوا تقليده إلى استنساخ شكله الخارجي، لا جوهر تجربته، فغابت أعمالهم خلف ظلّه، فيما بقي هو وحده عصيّاً على التقليد. ذلك أنّ ما بقي من زياد ليس أسلوباً فنياً، بل رؤية إلى الإنسان والمجتمع. ورغم غياب صاحبها، لا تزال هذه الرؤية قادرة على مُساءلة الواقع، كأنّ الزمن لم يتجاوزها.

عام على رحيل الغياب

جعل الفن المُتقن مشاعاً للناس

الوتر السوري لم ينقطع في لحن زياد

في سوريا، لم يكن جمهور زياد الرحباني يكتفي بالغناء معه، بل كان يحفظ موسيقاه كما يحفظ كلماته. علاقة استثنائية جعلت أعماله جزءاً من الوجدان السوري، ورسّخت حضوره في ذاكرة مدينة وجدت في فنه مرآةً لناسها وشوارعها وأحلامها

مروة جردي

في نهاية إحدى حفلاته في دمشق 2008، لم يصدّق زياد الرحباني ما سمعه، هو صاحب الأذن التي تلتقط كل «شاردة وواردة»، لم يكن الجمهور يغنّي معه كلمات أغانيه. كل أغانيه. فحسب، بل كان يتمتم معه الموسيقى. يتعرّف إلى المقطوعات من النوتة الأولى. للحظة، شعر زياد أنه يختبرهم. ويسأل نفسه: هل وجدت ضالّتي في الشام؟

بالنسبة إلى ليندا بيطار، التي كانت تقف يومها في الكورال، تستذكر الدهشة المرسومة على وجه «المعلم». كان زياد قد جاء إلى دمشق، كمدينة عريقة محافظة بالطبع والعادات، لم تعتد على الثورات الثقافية منها أو السياسية، أو هكذا كان يظن.

> **في بروفات قلعة دمشق عام 2008، كان يبدّل توزيع الأغاني حتى الساعات الأخيرة**

يعرف أنها تحب الرحابنة، فيروز بطلتها الملكية والأخوان الرحبانيان بادائهما الديكتاتوري الصارم لمسرحهما، لكنه لم يتوقّع أن هذه المدينة ستحتفي بابنهم الثائر أيضاً، تحفظ أعماله وتردّدها، بكل هذا الشغف وهذا الحب، كما لو أن أغانيه جزء من ذاكرة أهل المدينة وأسرارهم.

صارت له مدينتان

بعد سنوات، سيعود زياد نفسه ليقول إن بعض الأغاني التي لم تكن تحظى بالاهتمام في بيروت، أصبحت مطلوبة بعد حفلات دمشق، في إشارة إلى أغنيته «بلا ولا شي» نشيد الحب لدى دراويش وصعاليك سوريا الرومانسيين، فيما كان جمهور بيروت اليائس لا يزال يتمسّك بـ«عايشة وحدا بالك».

قلعة دمشق تحوّلت من مجرّد محطة في جولته الفنية، إلى اللحظة التي اكتشف فيها زياد، وربما للمرة الأولى، أنّ هناك مدينة غير بيروت وجمهوراً آخر يعتبره واحداً منه. صارت لزياد مدينتان.

قد تبدو العلاقة بين زياد الرحباني وسوريا، بعد كل ما جرى منذ عام 2011، عصية على الفهم. فالفنان الذي تحوّل إلى مرجع موسيقي وثقافي وإنساني بالنسبة إلى أجيال سورية مختلفة، وجد نفسه لاحقاً في مواجهة جزء كبير من جمهوره بسبب مواقفه السياسية التي لم ترحّب بالثورة، خصوصاً بالنسبة إلى هؤلاء الشباب الذين حلموا في إحدى غرفهم الصغيرة في أبنية مخالفة وأحياء عشوائية أعياها الفقر والإهمال بزياد ينشد الثورة «مع الشعب المسكين».

لكنّ العودة إلى شهادات من عاشوا تلك التجربة عن قرب تكشف أن الحكاية أكثر تعقيداً من اختصارها في الحب أو الخذلان. إنها قصة أوتار بقيت تشدّ العلاقة بين زياد والسوريين.

جيل عاش في «عصر زياد»

يصعب على باسل داوود أن يتحدّث عن زياد بوصفه مجرّد موسيقي. بالنسبة إليه، كما بالنسبة إلى كثير من أبناء جيله، كان زياد مشروعاً ثقافياً كاملاً. يقول إنهم كانوا يشعرون أنهم «يعيشون في عصر زياد»، لا لأنهم يستمعون إليه فقط، بل لأنهم كانوا يرون فيه النموذج الذي يريدون الاقتراب منه؛ موسيقياً يمتلك أدواته كلها، يكتب، ويوزّع، ويسجّل، ويقود فرقته، ويصنع صوته الخاص بعيداً عن أي قوالب جاهزة.

«زياد ما بيكذب»، يقول داوود الذي عمل لسنوات طويلة مع زياد وصار رفيقاً له في المسرح والترحال، ثم يصمت قليلاً، كأنه يبحث عن تفسير لعبارة يكرّرها كثيرون. لم يكن يتحدّث عن الناس من برجه العالي كما باقي الفنانين، ولم يكن يصنع شخصياته من الخيال. كتب عن العمال والفلاحين والموظفين وصغار الكسبة، وهم أنفسهم الذين كانوا يشكّلون غالبية المجتمع السوري. لذلك، لم يحتج السوريون إلى ترجمة ماذا تعني شخصياته وحوارات مسرحه، ولا إلى شروح لفهم سخريته. كانوا يعرفون هذه الشخصيات، ويعيشون حياتها كل يوم، وهذا أهم ما يمكن أن يقدّمه الفن للجمهور: تقديم شخصيات وقصص يمكنهم أن يتماثلوا ويندمجوا معها، يجدون أنفسهم فيها.

ويرى داوود أن الفرق الجوهري بين زياد والأخوين رحباني أو مارسيل خليفة وغيرهم يكمن هنا تحديداً. هناك لغة شعرية، مثالية، جميلة، وهناك لغة الشارع التي اختارها زياد. لم يتخلّ عن الشعر، لكنه أنزله إلى الرصيف، إلى المقهى، إلى الحافلة، إلى الموظف الذي ينتظر آخر الشهر. لذلك شعر السوريون أن هذا الرجل يتحدّث بلسانهم. ببساطة زياد جعل الفن المُتقن مشاعاً للناس.

في البروفة... لا أحد يعرف ماذا سيحدث

حين أصبح داوود جزءاً من فرقة اللقاء وحلقة رفاقه المقرّبة، اكتشف أن الرجل الذي يكتب أعماله بلغة عفوية يعمل بدقّة قاسية. في بروفات قلعة دمشق عام 2008، كان يبدّل توزيع الأغاني حتى الساعات الأخيرة، ويطلب من مُغنٍّ أن يؤدّي مقطعاً لم يكن مُقرّراً أن يغنيه، ثم يتصرف كأن الأمر طبيعي تماماً. لم يكن يحب الاطمئنان إلى الخطة، بل إلى قدرة الموسيقيين على التكيّف معها. ولا يعرف أن يكون نجماً وحده من دون فسح المجال لكل شخص من فريقه في أخذ قسطه من الضوء.

وخارج المسرح أيضاً، لم يتصرف يوماً كنجم. كان اشتراكياً حقيقياً، وهذا سر محبة الناس له في سوريا. يتذكر داوود أنه اصطحب زياد في جولات في باب توما والميدان، يأكل في المطاعم الشعبية، ويقيم في الفندق نفسه كلما عاد إلى دمشق، حتى صار اسمه مرتبطاً بزياراته. وبعد الحرب، عندما غادر داوود سوريا إلى البرازيل، بقيت الاتصالات مستمرة، وكان زياد يسأل دائماً: «شو عم تعمل؟ بعدك بالموسيقى؟».

هيك مت براومن جوا

لم تغيّر حفلات دمشق علاقة زياد بالجمهور فقط، بل غيّرت أيضاً مسار عدد من المغنيات السوريات اللواتي اخترن طريق الموسيقى الاحترافية غير التجارية. كان باسل داوود قد اقترح أسماء ليندا بيطار ورشا رزق ومنال سمعان وغيرهن، واقترح أيضاً شكلاً لظهور المغنيات على المسرح مع زياد الذي أعجبته الفكرة. لكن ما جذبه أكثر كان الأصوات نفسها. وصف زياد الفنانات السوريات بالمحترفات. منذ البروفات الأولى، بدأ يغيّر التوزيعات الصوتية ليستفيد من قدراتهن على أداء الهارموني، لتصبح تلك التجربة بداية علاقة فنية طويلة مع بعضهن.

بالنسبة إلى ليندا بيطار، لم يكن تحقّق، بل اكتشاف لإنسان يشبه موسيقاه. تتذكر كيف كان يركب الحافلة مع الجميع، ويجلس بينهم بلا حواجز، وتقول إن أكثر ما بقي في ذاكرتها أنه لم يكن يمثّل دور الفنان المتواضع، بل كان كذلك فعلاً.

«زياد على المسرح هو نفسه في الحياة»، تقول، كأنها تقدّم تفسيراً آخر للعلاقة التي جمعته بالسوريين، وجعلهم مُولعين فيه وبفنّه.

وبعد مرور عام على رحيله، ترفض بيطار التعامل مع غيابه بوصفه حقيقة نهائية، وتقول: «ما بحب أتذكر زياد على أنه راح... هيك شخص مستحيل يروح من قلبنا ومن ذاكرتنا».

يا صانع الجمال اين ذهبت!

أمّا منال سمعان، التي وجدت نفسها جزءاً من مشروع زياد الرحباني مباشرة بعد تخرّجها من المعهد العالي للموسيقى في دمشق، فتستعيد لقاءها الأخير معه عام 2017، وتقول: «كانت جلسة أشبه بالحلم». ثلاث ساعات من الحديث عن الموسيقى والفكر والحياة، بقيت ترافقها حتى اليوم. كان زياد حينها مُتعباً صحياً، ومنقطعاً عن رؤية الناس، لكنه لم يتردّد في تلبية دعوتها بعد معرفته بوجودها.

تعتبر سمعان أن هذه الجلسة لا تزال حتى اليوم تشعر بأثرها العميق في تكوين شخصيتها إنسانياً وفكرياً وفنياً، وستظل ممتنّة لها دائماً.

لكنها كلما تذكرت زياد، تذكرت الاستماع لملاحظاته والاستماع معه لموسيقى وأغاني فيروز في الاستديو، أو الرقص في البروفات، ودعوة الفرقة إلى منزله بعد كل حفلة... كل تلك التفاصيل شاهدة على فنان لم يفصل يوماً بين الفن والحياة، ولا بين الموسيقى والقضايا التي آمن بها. تعود بها الذاكرة إلى ليلة بيت الدين عام 2018، التي لا تزال تحتل مكانة خاصة في ذاكرتها. تقول: «في ختام الحفلة، كنا نغنّي «اشتقتلك». فجأة غادر زياد المسرح قبل انتهاء الأغنية. رأيته يخرج بينما كان الجمهور لا يزال مندمجاً ومتفاعلاً مع الموسيقى. في تلك اللحظة، وبينما كنت أغني، قلت في داخلي: يا صانع الجمال... إلى أين ذهبت وتركت كل هذا الجمال؟. إنها لحظة لا تزال تسكن ذاكرتي».

وعن العلاقة الخاصة التي جمعت السوريين بأعمال زياد، ترى سمعان أن الأمر كان طبيعياً، لأن السوريين عاشوا كثيراً من القضايا التي تناولتها مسرحياته وأغانيه، وفي مقدّمتها الظلم الاجتماعي وغياب العدالة وتفاوت توزيع الثروة. وتشير إلى أن الإنسان العادي ربما لم يكن يمتلك دائماً اللغة السياسية للتعبير عن هذه القضايا، لكن زياد استطاع أن يقدّمها بلغة بسيطة وصادقة جعلت الناس يشعرون بأن أعماله تتحدّث عنهم وعن واقعهم.

معلومات مش أكيدة

كان يمكن لهذه الحكاية أن تنتهي في دمشق عام 2009. لكن السنوات التالية وضعتها أمام اختبار لم يعرفه أي فنان عربي بحجم زياد الرحباني. يعترف باسل داوود بأن الثورة السورية كانت «النشاز» الأول بين زياد وبعض الجمهور في سوريا. رغم أن زياد علّق في إحدى إطلالاته بجملة لافتة «السوريين سبقونا بالثورة»، لكنه لم يكن ليكون زياد لو لم يقل رأيه بهذه الثورة صراحة، وهذا ما دفع حتى خصومه إلى احترامه. وهذا ما يجعل شيئاً آخر بينه وبين جمهوره عصياً على الانكسار.

من عمل مع زياد لا يتحدّث عن مواقفه السياسية، بل عن صدقه. الصدق نفسه الذي جعل الجمهور يصدّقه على المسرح، وجعل الموسيقيين يثقون بقيادته، وجعل المغنيات يشعرن أنهن أمام إنسان لا يتبدّل بين الكواليس والخشبة.

لعل هذه هي المفارقة التي تفسّر علاقة السوريين بزياد بعد عام على رحيله. لقد اختلفوا معه، وغضبوا منه، وغنّوا له، وبكوا لرحيله. لكنهم لم يستطيعوا اقتلاع أثره من ذاكرتهم. ما تركه في سوريا لم يكن حفلتين ناجحتين، ولا مجموعة أغنيات، بل طريقة كاملة في فهم الموسيقى والمدينة وشوارعها. لهذا بقي الوتر السوري في لحن زياد مشدوداً. قد يخفت صوته أحياناً تحت ضجيج السياسة، لكنه لا ينقطع. وحتى اللحظة، يكفي أن يصرخ أحدهم بذكرى رحيل زياد «مع أنو خلصنا أنا وياك» حتى يجيبه صوت من الشام «هيدي معلومات مش أكيدة».

قد تنتهي العلاقات، لكن الكلام يبدأ أحياناً بعد نهايتها. بين العود والساكسوفون، ينسج زياد الرحباني موسيقى لا تبحث عن المصالحة، بل عن أثر الكلمات حين تفقد قدرتها على تغيير المصير، وتتحوّل إلى آخر ما يقاوم الصمت والانكسار

كلمة أخيرة... «إذا بعد في مجال»!

بول مخلوف

توحي عبارة «إذا بعد في مجال» بأن ثمة احتمالاً لم يُستنفد بعد. بل إنها تكاد تظهر كرجاء خافت يخرج من فم يعرف، ضمنياً، بأن الأوان قد فات لكنه يعجز عن الكفّ عن الكلام، كأن اللغة هي محاولته الأخيرة لملء الصمت وإعادة الأمور إلى نصابها من جديد. فـ«إذا» لا تدخل في العربية إلا لتؤسّس علاقة شرطية، هي أداة تعلّق ما سيأتي على ما قد يحدث، وتربط النتيجة بسببها في تسلسل منطقي كالآتي: إذا وقع الشرط، وقع جوابه. غير أنّ هذا المنطق كله ينهار مع زياد الرحباني.

في مقطوعته الموسيقية «إذا بعد في مجال»، تخرج «إذا» عن وظيفتها النحوية حتى لا يعود الشرط ينتظر جواباً كما أن الاحتمال لا يفضي إلى نتيجة. الكلمة التي افتتحت العنوان بوعدٍ خافت، بإمكان ما، لا تلبث أن تتحوّل إلى أثر لغوي يتردّد فوق موسيقى تشي، منذ جملتها الأولى، بأن كل شيء قد انتهى؛ وأن كل محاولات الترميم بلا جدوى، ولم يبقَ سوى ثرثرة لا طائل منها.

لا وجود لشرط في «إذا بعد في مجال» لأن لا فرصة لإنقاذ ما تلاشى واضمحلّ. الشرط معطّل لأن «المجال»، أي الفسحة التي يمكن أن ينعقد فيها الحوار منكوبة. لم يبقَ سوى الخرب المتمثّل في الصوت (عند المتكلم ساكسوفون)، وذكرى آخذة في الذبول (عند المتلقّي العود) يترجمها الاصفرار الطاغي في الفيديو كليب وأوجه الغائبين.

هكذا، يغدو العنوان مع الرحباني حيلةً يخترعها المتكلم ليؤجّل الاعتراف بالنهاية، وليجاور ماضيه لحظةً أخرى، لا أملاً في استعادته، بل لأن اللغة حتى في حالة العجز تظل آخر ما يتشبّث به المرء.

تاريخ وخلفية

عام 1985، صدر وثائقي «هدوء نسبي» الذي يوثّق رحلة إنجاز الألبوم الذي حمل العنوان نفسه، ويرصد الصعوبات التي واجهت زياد الرحباني وفرقته، إلى جانب محاولته بلورة ما سمّاه «الجاز الشرقي». تضمّن الفيلم مقطوعتين موسيقيتين لم تشقّا طريقهما إلى البوم «هدوء نسبي». الأولى عنوانها «فور بايس أونلي» قائمة على ما يشبه حواراً موسيقياً بين عود مارسيل خليفة والباص الكهربائي لعبود السعدي وبقيت حبيسة الأرشيف لغاية اليوم. أمّا الثانية فهي «إذا بعد في مجال»، التي ستظهر لاحقاً في البوم (حفلة) «بهالشكل» (1986)، قبل أن تعود وتظهر في فيلم «موسيقى على قيد الحياة من بيروت» (1991) وهو عبارة عن مجموعة حفلات مُصوّرة أقامها الرحباني مع فرقته في الخارج.

في النسختين يتولّى العازف الرهيب ميشال أسعد اللعب على العود، بينما يتبدّل صوت الساكسوفون بين أفو توتنجيان على الألتو ساكس في نسختي «هدوء نسبي» و«بهالشكل»، وتوفيق فروخ على التينور ساكس في نسخة «موسيقى على قيد الحياة من بيروت».

لعل «إذا بعد في مجال» تمثّل التجسيد الأكمل للنمط الموسيقي الذي شغل بال زياد الرحباني طويلاً، وأطلق عليه اسم «الجاز الشرقي». ليس لأنها تجمع العود والساكسوفون فحسب، بل لأنّ هندستها الموسيقية القائمة على السولوهات المديدة، وتفاوت الكثافة، والفراغات المدروسة، وتوزيع الأدوار، تبلغ بمشروع «الجاز الشرقي» أكثر صوره نضجاً. تمتد المقطوعة لنحو سبع دقائق ونصف دقيقة في نسخة «بهالشكل»، وست دقائق ونصف دقيقة في «موسيقى على قيد الحياة من بيروت». وفيها يضع الرحباني العود، إحدى أكثر الآلات التصاقاً بالموسيقى العربية، في مواجهة الساكسوفون، الآلة التي ارتبطت بتاريخ الجاز والحداثة الغربية.

المفارقة أن الرحباني كان قد عبّر، في إحدى مقابلاته، عن نفوره من العود، واصفاً إياه بأنه آلة «غير اجتماعية»، غير أنه ينجح هنا في تطويع هذا التنافر وتحويل الاختلاف بين خشونة العود وسلاسة الساكسوفون إلى مادةٍ للتأليف.

تقوم «إذا بعد في مجال» إذاً على المسافة الفاصلة بين هاتين الآلتين. العود والساكسوفون لا يتبادلان الأدوار ولا يذيب أحدهما الآخر. إنّ البعد والتباعد بينهما لهما جوهر العمل. إنهما يحتفظان بفرادتهما وينسجان فضاءً مشتركاً قوامه التوتر لا الانسجام. على هذا النحو، يمكن الإصغاء إلى «إذا بعد في مجال» بوصفها لقاءً بين طريقتين في النطق، وطريقتين في الإحساس بالزمن، وطريقتين في الكلام.

قد يقول قائل إنّ هذا النداء وهذا الجواب بين العود والساكسوفون هما تفاوض صوتي، ولهما تطبيق حرفي «للجاز الشرقي». غير أن هذه القراءة، تخفي في شكل ما قصوراً. فما نسمعه ليس حواراً بالمعنى الذي يفضي إلى تفاهم، بل هو كلام يأتي بعدماً استنفد التفاهم إمكانه. هكذا تبدو «إذا بعد في مجال» موسيقى ما بعد العلاقة، لا موسيقى العلاقة نفسها. علاقة انتهت ولم يبقَ منها سوى صوتين يحاور أحدهما الآخر؛ هو حوار يدخل في إطار المجاورة، لأن المنطوق لا يفضي إلى نتيجة، فكل آلة منهما أي العود والساكسوفون، يعرف أن ما انكسر لن يُرمَّم، وأن الكلام، مهما طال، لن يغيّر المصير. ما نسمعه، في النهاية، ليس سوى الكلام الحيّ الذي استفاق بعد احتضار العلاقة.

فصاحة استرسال وبلاغة الاقتضاب

تلتقط «إذا بعد في مجال» اللحظة التي تعقب الانفصال مباشرة؛ تلك اللحظة التي يفقد فيها الكلام قدرته على الإقناع ولا يعود سوى أثر للانكسار. تقوم المقطوعة على دراميةٍ تستعير من الحوارات العاطفية أكثر اللحظات هشاشة: حين تهبط العلاقة إلى الدرجة تحت الصفر، ويغدو الكلام فعلاً للبقاء أكثر منه وسيلة للتفاهم، ومحاولة (نوستالجية) لافتعال صدى. ثمة طرفٌ يواصل الحديث بإسهاب، يستطرد يمط، يطيل «يعلّك» و«يرغي»، كأنه بالإطالة يرفض النهاية أو يؤجّل الاعتراف بها، فيما الطرف الآخر يجيب باقتضاب شديد، بالقدر الذي يحول دون أن يستحيل الصمت قطيعة كاملة.

يسهب ساكسوفون توفيق فروخ وأفو تاتوجيان ويسترسل ويطيل. يراهن على أن كثرة الكلام قد تنجح حيث حدث الإخفاق. في المقابل، ينزع عود ميشال أسعد إلى التقشّف؛ يقول ما ينبغي قوله، وكأن كل جملة إضافية ستكون تكراراً مجانياً لا طائل منه ولا ضرورة له. وإذا كان الساكسوفون يجسّد صوتاً يفيض بالكلام لأن الصمت لم يعد محتملاً، فإن العود يكتفي بما يلزم، كأنه يدرك أن كل ما كان ينبغي قوله قد قيل.

من هذا الاختلال تحديداً يتولّد التوتر الذي يمنح المقطوعة قوتها الدرامية. الساكسوفون لا يكفّ عن الكلام لأنه لا يستطيع أن يصمت، أمّا العود فيصمت داخل كلامه لأنه لم يعد يرى في الكلام خلاصاً. مع الساكسوفون نحن إزاء شكل من أشكال الإطناب واللغو وتعاقب الكلام إلى حد يصير ثرثرة، بينما نجد عند العود نوعاً من الامبالاة، وأحياناً شيئاً من الحدّة التي ترمي إلى توكيد القطيعة، في جملة موسيقية تلتفّ على نفسها، تبدأ وكأنها تنتهي، وتنتهي وكأنها لا تريد أن تبدأ من جديد.

إمّا\ او

تفقد «إذا» الشرطية وظيفتها مع زياد الرحباني، ومعها ينهار منطقها كله، كما تنهار أوهام إصلاح ما يتعذّر إصلاحه واستعادة ما لا يستعاد. الشحنة العاطفية في الساكسوفون مقابل الاقتصاد التعبيري عند العود، يكشفان أن ليست كل محادثة حواراً، كما أن ليست كل استجابة إصغاءً. هكذا تحضر «إذا بعد في مجال» ليس كحوار يسعى إلى التفاهم بل حوار يعرف منذ نبرته الأولى، أن التفاهم لم يعد ممكناً.

تصبح «إذا» كلمة بلا وظيفة، بل ربما تصبح، بتعبير جاك دريدا، علامة تستمر في العمل بعد موت مرجعها. هي تشير إلى احتمال لم يعد موجوداً: احتمال تقويض علاقة ماتت.

تستدعي هذه المقطوعة، على نحو غير مباشر، سؤال الفيلسوف الدنماركي سورين كيركغارد في (حيرته الوجودية) كتابه «إمّا... أو». هي لا تستعيده تماماً بقدر ما تعيد صياغته من جديد. في «إذا بعد في مجال» لا يقف العاشقُ أمام اختيارين يفضيان إلى مستقبلين مختلفين، بل أمام احتمالين متعادلين في عجزهما. إن تكلّم فلن ينقذ شيئاً، وإن صمت فلن يغيّر المصير. إذا جاء الرد فلن تعود العلاقة، وإذا لم يأتِ فلن تكون النهاية أشد قسوة مما هي عليه. لقد فقد الاختيار معناه، لأن النتيجة محسومة سلفاً. هكذا، يكشف زياد الرحباني مأساة العلاقات بعد انطفائها. يفضح الرحباني المال العبثي للحب، حين لا يعود للحبيب شيء يربطه بالزمن سوى الكلام وتعاقب الكلام وفائض الكلام.

الإصرار على مخاطبة ما انتهى وكأن الصوت قد يفتح باباً موصداً وقد أغلق نهائياً. لا شيء ينجو هنا سوى اللغة، إنها الأثر الباقي بعد انهيار كل وسائل التفاهم وموت الحوار، وهي عاجزة عن التوقف. هكذا، يواصل الساكسوفون استرساله، لأنه لم يعد يملك سوى الكلام، فيما يجيبه العود باقتضاب يدرك أن كل ما كان ينبغي قوله قد قيل.

بهذا المعنى، لا تلغي «إذا بعد في مجال» جواب الشرط فحسب، بل تلغي جدوى الشرط نفسه. لقد فقدت «إذا» إمكانها، وفقدت «إمّا... أو» معنى الاختيار، وما يضعنا الرحباني أمامه هو «إما \او... ولا فرق»، كاشفاً عن الوظيفة الأخيرة للغة: مرافقة الانكسار حتى الصدى الأخير.

> **يُبرز الرحباني ان العلاقات لا تنتهي حين يتوقّف الكلام، بل إن الكلام الحقيقي يبدأ بعد ان تنتهي العلاقات**

عبثية «اللافرق»

ثمة مفارقة أخرى بوسع واحدنا التقاطها في «إذا بعد في مجال». يبرز الرحباني أن العلاقات لا تنتهي حين يتوقّف الكلام، بل إن الكلام الحقيقي يبدأ بعد أن تنتهي العلاقات. عندها يصبح كل شيء قابلاً للقول، لأن شيئاً لم يعد قابلاً للتغيير. تتحوّل اللغة إلى المقام الأخير للعلاقة؛ إلى الصدى الذي يتردّد فيه كل ما كان ينبغي أن يقال قبل فوات الأوان لكنه لم يقل في وقته وقد فات الأوان، وها هي اللغة تعيد تعويضه.

والحال هذه، لا وجود لحوار في «إذا بعد في مجال» إنما موسيقى ما بعد الحوار؛ اللحظة التي يفقد فيها الكلام وظيفته العملية، إنه أثر، ويكتسب، للمرة الأولى، وظيفته الجمالية. من هذه الوظيفة تحديداً تنشأ عبثية «اللافرق»، فالحديث أو الصمت، الجواب أو تجاهله، الاسترسال أو الاقتضاب، جميعها احتمالات فقدت قدرتها على تغيير المصير.

تمنح موسيقى زياد الرحباني الانكسار إيقاعه، تعطي الخسارة شكلها، وتعوّل على فائض الكلام في لحظات الغرق؛ قد تكون الكلمات غير قادرة على إنقاذ شيء لكنها السدّ المنيع أمام الانهيار الأخير: الصمت والسكون. من ناحية أخرى، ألم يكن الرحباني الذي عرّف نفسه ساخراً «العظيم، الخرئان، المنهار» ملك الاسترسال، أي الاسترسال، أي فائض الكلام؟ الظاهر أنه كان يدرك أن الثرثرة ليست نقيض المعنى إنما هي الأثر الذي يتركه المعنى ولو عجز عن إنقاذ صاحبه.

عام على الغياب

فتشتُ عن الصدق وعن الانتماء فوجدتكَ!

فادي قوشقجي *

اعتاد الأصدقاء المقرّبون مني على «مزحاتي»، حين ألعب دور المغرور الذي يدّعي أنه الأفضل والأذكى و«الأهضم»! لكنني، في ما يتعلق بالإبداع، أقول - ممازحاً بالطبع - إنني ثاني أهم مبدع في العالم! فيتساءل من يسمعها لأول مرة: «فادي! ما بك؟ أنت تقول، في أي مجال، إنك الثاني؟! ومن يكون الأول؟»، فأجيب: إنه - بالطبع - زياد الرحباني.

يعني: حتى على سبيل المزاح، يُمنع تماماً في قاموسي تحدّي المكانة الفريدة التي يشغلها زياد. ليس هذا تعصّباً أعمى على طريقة المعجبين المفتونين بنجم ما! إنه تعصّب واعٍ جداً، ومبصر جداً، من شخص ممتنّ جداً جداً.

فأنا ممتنّ من كل قلبي لحقيقة مرور زياد بيننا على هذا الكوكب، وممتنّ لأنني عاصرتُه، وممتنّ لمن أقول مجازاً إنها «ربّتني»: فيروز، وللراحل العظيم عاصي، لأنهما - بالإضافة إلى مآثرهما التي لا تُحصى - قد أنجباه، وممتنّ لريما: حارسة الإرث الرحباني الحقيقي.

بل إنني ممتنٌّ أيضاً لفقرات عمودي الفقري! فقد أجبرتني ذات يوم قبل نحو ثلاثة عقود على أن ألزم الفراش لشهر ونيّف، فتفرغتُ لسماع كل نتاج زياد حتى ذلك الحين.

لم أكن أستمع إلى هذا النتاج للمرة الأولى، لكنني، رغم ذلك، لم أخرج من فترة الاستماع المُكثّف والمتواصل هذه، الشخص نفسه الذي كان قبلها! لقد جعلني زياد شخصاً «أغنى»!

لماذا شغل زياد هذه المكانة لديّ؟

هناك أمر كنتُ أثق به، لكنني لم أختبره بنفسي، لأنني - للأسف - لم أحظَ بفرصة لقاء زياد وجهاً لوجه، وكان أحسن من أوجزه لي، وللمجتمع، الإعلامي جاد غصن، الذي التقى زياد كثيراً وعلى مدى شهور خلال الإعداد للمقابلة التي سيتبيّن أنها الأخيرة له. جاد قال في مقابلة حول زياد بعد رحيله: «زياد، بتطفي الكاميرا أو بتشغّلها، هو نفس الشخص».

الصدق! هذه هي الكلمة المفتاح! وبالنسبة إلى شخص مثلي، لو طلبتَ منه أن يلخّص الأخلاق بكلمة لكانت هذه الكلمة هي الصدق، فهذا الأمر حاسم في تحديد مكانة الأشخاص لديّ.

دعك من الأقوال المأثورة، فالكثير منها لا يحمل أي معنى. يقولون، مثلاً: «ابقَ حيث الغناء، فالأشرار لا يغنّون». يا لها من مقولة لا طعم لها ولا لون! بلى، الأشرار، والكذّابون، يغنّون، بل «يبدعون» في شتى صنوف الإبداع، ثم يوظفون إبداعهم في تبرير ما لا يُبرَّر، وينظّمون المدائح لمن يحبّون ولمن لا يطيقون!

زياد، ومن قبله فيروز وعاصي، لا ينظّمون المدائح، حتى لأشخاص أو قادة يكنّون لهم الاحترام.

ذات يوم، أرسلت لي صديقة نشيداً لم يكن قد مرّ على نشره على يوتيوب سوى ساعات. كان نشيداً في مديح السيد حسن نصرالله، وقد كُتب في تعريفه أنه لزياد الرحباني. كانت سعيدة، فهي تحب كليهما! أنا أيضاً أحب كليهما، وأجزم أن كلاً منهما كان يكنّ للآخر الكثير من المحبة والاحترام. استمعتُ للنشيد. كان رائعاً بالفعل، لكنني كتبتُ لها فوراً: أراهنكِ! هذا ليس لزياد. قالت: لكن مكتوب أنه لزياد. قلت: وماذا يعني ذلك؟ إنها معلومة خاطئة عند من نشر الفيديو. تذمّرت صديقتي من عنادي وقالت: ولماذا تجزم بأنها خاطئة؟ قلت: لأنني أعرف زياد! زياد لا يكتب المدائح، حتى لمن يحترم ويحب.

سأضع مقولتي أعلاه حول تلخيص الأخلاق بالصدق تحت التدقيق قليلاً! كلّا! الصدق لا يكفي! ترامب ربما يكون صادقاً! هو وغد ولا يخجل بأن يقول للعالم إنه وغد! هذا في النهاية صدق! السؤال الأهم: ما هو المحتوى؟ ما هو الفكر الذي أنت صادق في عرضه على هذا العالم؟

عند زياد، هذا المحتوى هو العدالة! هو الحرية! هو الانتماء إلى الإنسان المظلوم والفقير والمُهمَّش والمنهوب! هو النبل! هو الحب!

أحبّ زياد وطنه وشعبه كما لم يحبّه أحد! أحبّ، خاصةً «البسطا والطيبين» الذين «صمدوا وغلبوا».

أحبَّ زياد سوريا أيضاً كما لم يحبها أحد، وكانت سوريا تحبه كما لم يحبه بلد. أذكر تماماً كيف اختتم حفلته التاريخية في قلعة دمشق، فأنا كنت هناك! قال: «بصراحة مش متوقع هيك شي ولا شايف هيك شي من قبل!» نعم يا زياد، لم يحبك ولم يحتفِ بك أحد كما فعل الشعب السوري في نسخته الجميلة الراحلة: نسخة سنة 2008 والسنوات القليلة التالية لها!

الانتماء إلى الإنسان، الشعب، الوطن، العدالة، الحرية، الحب؛

والصدق! والصدق! والصدق المُطلق (أؤكد: المُطلق) في كل ذلك!

وثمة المزيد: الإبداع في أعلى تجلّياته، و«الهضامة» في أجمل وأذكى صورها.

عن موسيقى زياد ومسرحياته، و«قفشاته» سواء في الأغاني أو المسرحيات أو المقابلات، يمكن أن تُكتب مجلدات، لكن، لمَ المجلدات؟ فقط استمع لزياد! فقط حلّق مع جملته الموسيقية! فقط اضحك من قلبك حين «ينكّت» ثم، توقف عن الضحك وأعد الاستماع مرة ومرتين و... فكّر! «الإشارات والمخ المعكوف والإنسان اللي بيفرد وتمانين وتمانين» ليست مجرد نكتة! «المصاري اللي ما بتنعد ولا بتنقاس وأصلها من جياب الناس مسحوبة ولازم ترجع لجياب الناس» ليست مجرد أغنية! «المعتر بكل الأرض دايماً هو ذاته» ليست مجرد جملة!

شخصياً، أؤمن بأن الإنسان الحرّ هو من يخلق نفسه بنفسه. يخلق وعيه وفكره وقيمه بدون أي تطويع أو تدجين لعقله. وبعد أن يصنع ذاته على هذا النحو، يفتّش في هذا العالم عمّن يشبهه، عمّن يمدّ في طول قامته الفكرية والقيَمية والشخصية، ليغتني به، ولينتمي معه إلى «المذهب» ذاته.

هذا ما حدث معي بالضبط! صنعتُ «حقيقتي» وقيَمي... وفتشت! فتشتُ عمّن ينتمي إلى ما أنتمي إليه، ويفعل ذلك بصدق شديد. لن أقول إنني لم أجد سوى زياد، فأحرار العالم ليسوا قلة! لكنّ واحداً من أكملهم وأجملهم وأنبلهم لديّ هو: زياد عاصي الرحباني!

* كاتب سوري

ترقد والقهر يملأ قلوبنا

جود نمر خزاقة

في مُقدّمة كتابه «زمن زياد الرحباني قديش كان في ناس» يستعير طلال شتوي جملةً من جوزيف حرب، هي: «زياد الرحباني يلتقي مع كلّ إنسانٍ جاء إلى هذه الأرض». جملة قد تبدو للوهلة الأولى خارجة من ديوانٍ شعريٍّ لحرب، لكنّها في الحقيقة علميّة إلى حدٍّ بعيد. نعم، زياد التَقانا جميعاً.

لكلٍّ منّا قصّتُه مع زياد، غالباً ما تكون فريدةً واستثنائيّةً كزياد. قصّة اللقاء الأوّل، لقاءٌ لم يعرف به هو، لقاءٌ يغيّر فينا الكثير، ونصبح أسرى هذا الوهج. منّا من سمع أغنيةً أو لحناً سحره، أو شاهد مسرحيّةً أو مقابلةً، أو حتّى تعرّف إليه عبر شخصٍ ثالث، ولكن، وفي كلّ الأحوال، سرعان ما سيخطفنا زياد، اختطافاً جوهريّاً.

وُلدنا في جيلٍ عرف زياد عن بُعد، على فترات، والأهمّ أنّنا عرفناه كاملًا. لم ننتظر مسرحيّةً أو ألبومًا أو مقابلةً؛ جهّزها كلّها لنا منذ زمن. جيلٌ في بداية عشرينياته اليوم، لم يشترِ بطاقة عرضٍ لمسرحيّاته، ولم يتسمّر أمام التلفزيون لنسمعه مباشرةً، كنّا صغاراً. لكنّك يا زياد أبهرتنا، فعشقنا مسمعك، وسمعنا مسرحيّاتك ومقابلاتك، فأحببنا ما فيها من واقعيّةٍ وإبداع.

كنّا كالتلاميذ، ندرس زياد تحضيراً للعودة، حفظنا الأغاني وتوزيعاتها المختلفة، وحفظنا المسرحيّات حتّى أصبحنا شخصيّاتها. تعرّفنا إليك كاملاً، ولكن أيضاً غائباً، فتحوّلت موسيقاك وموقفك إلى وقودٍ نسير به في حياتنا.

جعلتنا ثائرين على كلّ شيء؛ على ما نحن عليه، على مستقبلٍ لا نصنعه، على بيئاتنا وتعقيداتها، على المجتمع ونظرتنا إليه. كنت بالنسبة إلينا المحرّض الأوّل. حرّضتنا لنسأل ونفهم ما نتلقّاه، ولنثور على أنفسنا، وعلى الحياة. جعلتنا نبصر مجتمعنا عن قرب، ونقاوم ثوابته، ونفهم أنّ عبقريّتك لم تكن استشرافاً بسيطاً للمستقبل، بل مواجهةً سياسيّةً في وجه الظلم والطغيان والاحتلال واللامساواة. أنقذتنا من تفاهة هذا العصر، بكلّ ما فيه من تفاهة وتمييع للسياسة والنقاش، ولذلك كنتَ بالنسبة إلينا دليلاً، لا نحتاج أن نراجعه كلَّه عند الحاجة، بل يكفي أن نفهم مضمونه.

مع الوقت، فهمنا مع زياد أنّ الضحكة ليست نقيض الحزن، وأنّ التصفيق ليس نقيض فشلٍ ما، وأنّ الوقت ليس صديقاً للإنسان. كان صلباً، صلباً إلى حدّ الصراع مع الحياة نفسها؛ ففهمها بالأمثلة، وحكاها بجملٍ بسيطة، وعزفها على بيانو أسود وبُزُقٍ رنّان، وغنّاها ملايين البشر. لذلك، لم تكن موسيقاه مجرّد ألحان، بل طريقةً لفهم هذا العالم، ورفيقاً في مواجهة عبثيّته.

غالباً ما كان يعود عقب الغيبات المتتالية، لتكون أعماله ومواقفه وآراؤه سنداً لنا في صراعنا الدائم.

أمّا اليوم، وقد رحل، فقد أصبحت تلك الغيبة سرمديّة.

يصعب الرحيل في مثل هذا الزمن، يصعب وصعوبته من كونه حتميّاً، فكيف إذا كان زياد هو من يرحل. ترقد يا زياد فيما الإمبراطوريّة تكبر ونحن بحاجةٍ إلى كلّ جنديّ في مواجهتها. ترقد والقهر يملأ قلوبنا، والخوف يتملّكنا، في زمن خيبة الأمل والاستسلام والإبادة. انتظرناك لتستعيد قوّتنا، لتكون في صفّنا، في مقدّمة المواجهة. كنت، وما زلت، وستظلّ، رفيقاً في هذه المواجهة.

أحببناك فحوّلناك إلى أسطورة، إلى أيقونةٍ نتوق إلى رؤيتها، ولم نرَها. لكنّك بقيت منّا، وبقيت فينا. أصبحت منهجاً، ومانيفستو ما حيينا.

في الختام، كان جوزيف حرب على حقّ. لقد التقى زياد مع كلّ إنسانٍ مرّ، ولكنّه حتماً سيلتقي مع مَن سيمرّ وسيتعرّف إليه، مثل المئات، بل الآلاف ممّن التقوا زياد وهو في غيبته. سيلتقي بهم، وسيستمعون إلى موسيقاه، لأنّ زياد نفسه قال: «منمشي ومنكفّي الطريق، يا رفيق».

زياد، «هيدي بس تحيّة... وبسّ»، والكثير من الشكر. شكراً لأنّك كنتَ وكنّا، شكراً لأنّك منّا، شكراً لأنّك نحن ولأنّنا أنت. نحزن لأنّك رحلت، ونحزن أكثر لأنّنا لم نخبرك بكلّ ذلك قبل الرحيل.